مشكلة الشر

الراهب
كاراس المحرقى

مراجعة وتقديم
الأنبا رافائيل

مشكلة الشر

مراجعة وتقديم

نيافة الحبر الجليل الأنبا رافائيل

(الأسقف العام)

الراهب

كاراس المحرقى

غلاف الكتاب

يمثل الأرض وهى منقسمة نصفين
النصف الأول لونه سماوى كرمز للخير
والثانى أحمر كرمز للشر ومنه يخرج طفل يبكى
كرمز للألم الذى يتلقاه منذ أن يولد

اسم الكتاب: **مشكلة الشر**
تأليف: **الراهب كاراس المحرقى**
مراجعة وتقديم: **نيافة الأنبا رافائيل**
تصميم الغلاف: الأستاذ عادل لبيب
المطبعة: شركة الطباعة المصرية
٦١٠٠٥٨٩ -٦١٠٢٠٩٥
رقم الإيداع : **٢٠٠٧/٨٤٦٥**

يطلب من
المكتبات المسيحية
نصــــر أنور ٠١٢٤٣٤٨٥٣٤
أشرف نظمى ٠١٢٥٠٦٧٨٨١



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية (١١٧)



نيافة الحبر الجليل الأنبا ساويرس

أسقف ورئيس دير المحرق العامر

تقديم

لنيافة الأنبا رأفائيل

تتلخص حياة الإنسان فى صراعٍ طويل بين الخير والشر داخله، ونحن لا نعرف كثيراً عن مشكلة الشر...

نشكر الأب المحبوب الراهب المبارك كاراس المحرقى، على تقديمه هذا البحث للمكتبة القبطية حيث يدرس فيه:

ما هو الشر؟ وما هى جذوره؟ ومشكلته، ثم مركز الشر فى حياتنا، والشر من منظور علم النفس، ودور الشيطان فى نشر الشر، وما هو موقفنا نحن الشعب المؤمنين.

أرجو للقارىء البركة والاستزادة من المعرفة، حتى نبعد عن الشر ونتجنبه بنعمة المسيح فينا، بصلوات راعينا المحبوب قداسة البابا شنوده الثالث حفظه الله.

الأنبا رافائيل

الأسقف العام

مقدمة

الواقع أن النفس البشرية **تحيا متذبذبة** بين هذين القطبين أعنى الخير والشر، وهى حينما تسعى نحو الخير تحشد كل طاقتها للبناء، وعندما تستسلم للشر فإن كل طاقتها تميل إلى الهدم! هذا التذبذب دفع البعض إلى القول بأن **المشكلة الكبرى فى الوجود هى مشكلة الشر**، فنحن حينما نفعل الخير نجد أنفسنا بإزاء حل لامشكلة، أما الشر فيبدو بصورة مشكلة تقتضى الحل أو تستلزم التفسير.

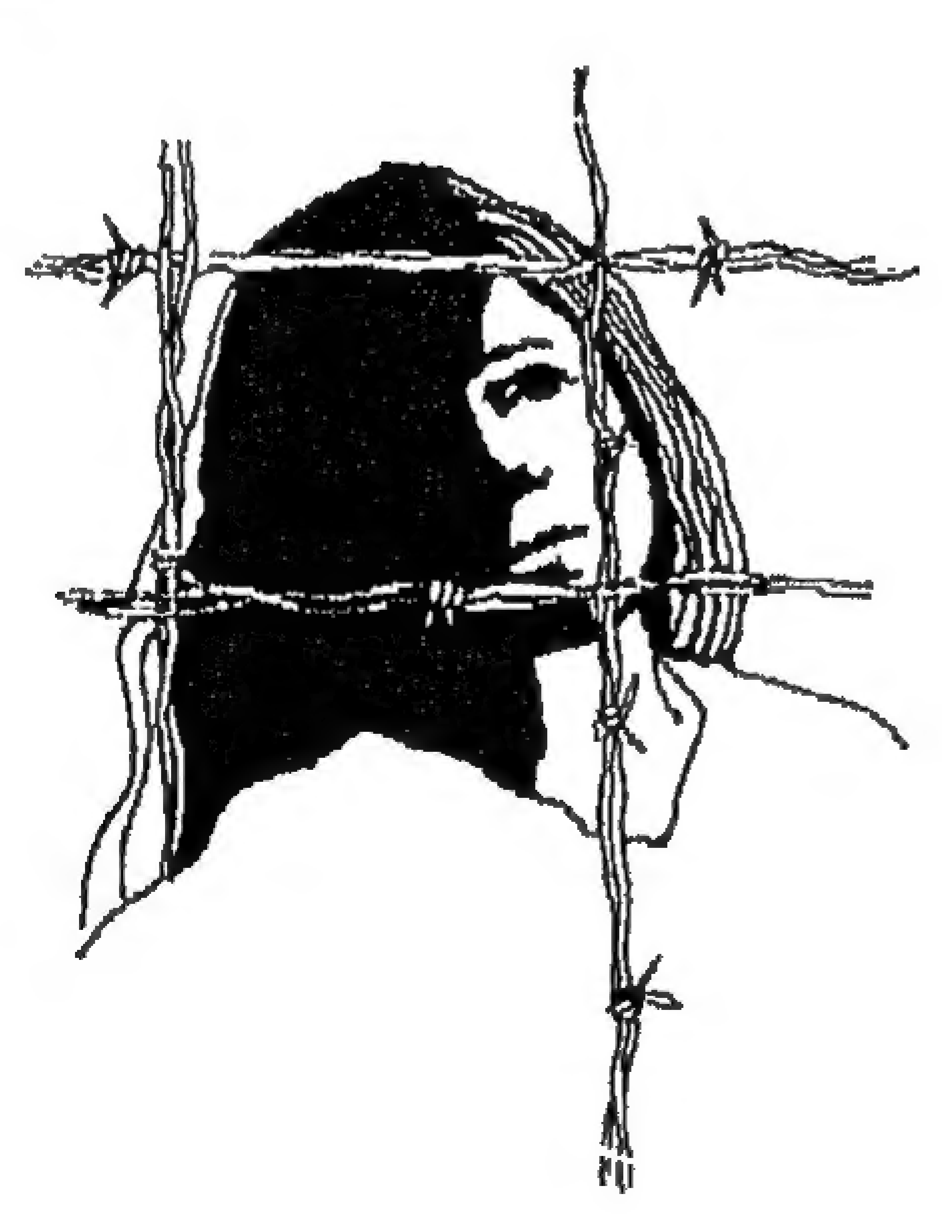
نعترف بأننا إزاء مشكلة عسرة الفهم! فهل من جراه لنغوص فى بحر ليس له حدود ؟! أعتقد أن هذا أفضل من أن نقف على الشاطئ بلا حراك ساكنين! ولماذا نخشى إن كنا نبحث عن الحقيقة!!

وإن كنا قد لجأنا إلى الحلول العقلية فى بعض المشكلات، إلا أن الإيمان يفيد أكثر فى مثل هذه المشاكل، ففى حين ينقص الإيمان عند كثيرين لوجود الألم فإن الألم ينقص عند آخرين لوجود الإيمان عندهم، فغير المؤمن يرى فى كل موقف مشكلة، أما المؤمن فيرى فى كل محنة فرصة ليتعلم فضيلة لأن " **كُلُّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعاً لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ** " (رو٨:٢٨).

أخيراً أُقدّم **شكرى لله**، فقد انتصر الخير على الشر وصدر كتاب مشكلة الشر، بعد أن ظل عدة سنوات حبيس الأدراج، كما أشكر نيافة الحبر الجليل/ **الأنبا رافائيل** الذى تفضّل مشكوراً بمراجعة الكتاب بدقة والتقديم له، وهذه ليست المرة الأولى التى أتتلمذ فيها على فكر معلم متعدد المواهب، فقد سبق أن علمنى نيافته قبل رهبنته طقوساً وسلمنى ألحاناً.. الرب يعوّضه فى ملكوته الأبدى، **ولإلهنا المجد الدائم منذ الأزل وإلى الأبد، آمين.**

الراهب

كاراس المحرقى



الفصل الأول
مشكلة الشر

منذ القدم والناس يتباحثون ويتجادلون في مشكلة الشر، ويتهافتون على سماع كل ما هو جديد في معضلة الألم.. وتظهر المسيحية وتنتشر بين الناس تعاليمها السامية.. ولكن الآراء مازالت تتشعب، والمذاهب تتعدد، وكعادة البشر عندما يعجزون عن إزاحة النقاب عن مشكلة ما، لا يعترفون بضعفهم، بل يبتدعون رأياً إرضاءً لكبريائهم وإشباعاً لغرورهم!

لعل أهم هذه الآراء التى ظهرت، وقد عانت منها المسيحية فى بداية تكوينها، هو مذهب **الثنائية** Dualism الذى تبناه **مانى** Mani **بن فاتك** *، ومن بعده المانويين، الذين قد حملوا اسمه.

---

* ظهر فى القرن الثالث الميلادى (٢١٥ـ ٢٧٦م) ونادى بمبدأين: الخير والشر، ودعا إلى الاعتقاد بوجود إلهين يتقاسمان الوجود: **إله الخير وإله الشر!** ونادى هو وأتباعه بتحريم الزواج لأنه نجاسة، وعدم أكل اللحوم، ومعتقدات أخرى خاطئة كثيرة..

وكان **الغنوسيون*** Gnosticism، لهم آراء ومعتقدات خاطئة، فيما يخص مشكلة الشر! فقد نظروا إلـــى أصــــل الشر بصورة **عقلية محضة!** وهذا ليس بغريـــب، علـــى أُناس أسلموا أنفسهم لخيالات ثقافية، بحثاً عن كل ما هـــو جديد ومثير فى عالم المعرفة، ورفعوا من قيمة العقل على حساب الروح والقلب، واهتموا بالمناقشات الفلسفية العقيمة بدلاً من العمل الجاد والمثمر، وقد ساعدهم على انحرافهم: غرورهم واعتزازهم بأفكارهم، واحتقارهم لغيـــرهم مـــن الناس..

لقد **تساءلوا**: إن كان الله كلى الصلاح، فمن المستحيل إذن أن يكون هو خالق الشر! **إذن كيف دخل الشر إلـــى العالم ؟!**

الجواب الغنوسى: إن الخليقة لم تُخلـــق مـــن العـــدم! فالمادة فى نظرهم كانت موجودة قبل أن يبـــدأ الزمـــان، ولكنها غير كاملة، كما أنها نجسة، وهى أصل الشر فـــى

---

* غنوسية مشتقة من الكلمة اليونانية Gnosis ومعناها معرفة، وهى تمثل حركة دينية لأناس اعتنقوا المسيحية، مع احتفاظهم بأفكار كثيرة غير مترابطة، واختلافات متعددة ومتناقضة، وتعد أكثر آرائهم المنحرفة: إنكارهم لاهوت السيد المسيح، وإصرارهم على إحلال المعرفة محل الإيمان كطريق للخلاص..

العالم! ولكن هذا الرأي الساذج، سرعان ما أدخلهم في مشكلة أُخرى جعلتهم يتساءلون:

إن كانت المادة نجسة، أو شريرة، فكيف يمكن لله القدوس أن يمسكها ويخلق منها العالم ؟! لقد وجدوا أنفسهم في دائرة مغلقة، ولكنهم خرجوا منها لكي يدخلوا دائرة أُخرى بلا مركز، أو محيط ثابت يتحركون عليه، فقالوا:

لكي يخلق الله العالم، سمح بأن تخرج منه " **آلهة** " أُخرى كثيرة، فكل إله يبتعد عنه شيئاً فشيئاً، نتيجة لهذا تقل معرفته عن الإله الأصلي، وأخيراً وصلت الظهورات أو الانبثاقات، **إلى إله يجهل الله تماماً بل ويعاديه!** وهكذا وصل الغنوسيون إلى اعتقاد مُضل وغريب يقول:

إن الإله الخالق ليس فقط مختلفاً عن الإله الحقيقي، بل هو في حالة **جهل** تام به، **وعداء كلي له!!** ولكنهم لم يتوقفوا عند هذا المعتقد الخاطئ، بل امتد فكرهم لكي يشمل الأخلاقيات أيضاً، فنادوا بأن الجسد شرير لأنه مادة! ولذلك يجب أن يُقمع، ويُرذل، ويُحتقر.. فمنعوا الناس عن الزواج من أجل كبت غرائز الجسد، وحرّموا أكل أطعمة كثيرة، كما قال معلمنا القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس: " **مَانِعِينَ عَنِ الزِّوَاجِ، وَآمِرِينَ أَنْ يُمْتَنَعَ عَنْ**

أطْعِمَةً قَدْ خَلَقَهَا اللهُ لِتُتَنَاوَلَ بِالشُّكْرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَارِفِي الْحَقِّ " (١تيمو٤: ٣)!

ولكنهم سرعان ما قد خرجوا بمعتقد أخلاقى آخر، يتعارض مع هذا المعتقد تماماً فقالوا:

بما أن الجسد شرير، فلا يهم ما يفعله به الإنسان، **إذن فليُشبع كل إنسان شهواته، وبشراهة !!** *

فى وسط ذلك البحر الهائج بأمواج الشر، الذى اتحدت وتعانقت أمواجه لتغرق سفينتنا! لم تقف الكنيسة مكتوفة الأيدى، بل قاومت بقوة، **فكتب القديس يوحنا إنجيله،** لكى يؤكد أن الله هو الذى خلق العالم وافتتحه بعبارته الخالدة:

" فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ، كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ، فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نورَ الناسِ.." (يو ١: ١- ٥).

كما أعلن **محبة الله للعالم** فى قوله: " لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ " (يو٣: ١٦).

---

* وليم باركلى - تفسير رسالة تيموثاوس الأولى، ص٤١- ٤٥.

وهكذا قدّم لنا القديس يوحنا الحبيب خلاصة الإيمان المسيحى، لكل من حاول رفع الله إلى وجود وهمى، لا علاقة له بالمادة أو صلة بخلقتها! كما أعلن للجميع ألوهية رب المجد يسوع، لأنهم نظروا إلى السيد المسيح على إنه **ليس إلهاً كاملاً**، مجرد نصف إله، أو شئ آخر من هذا القبيل!!

آية عسرة الفهم

نعترف بأن الأفكار الغنوسية قد أصابها الصدأ، وتآكلت على مر السنين، وقد أصبح الآن واضحاً، أن الشيطان مخلوق كسائر المخلوقات، فيدى الرب كما قال أيوب الصديق: " **أَبْدَأَتَا الْحَيَّةَ الْهَارِبَةَ** " (أى٢٦: ١٣)، وفى بداية خلقته كان ملاكاً نورانياً، يُدعى كما جاء فى سفر إشعياءِ النبيِ **كوكب الصبحِ** " كَيْفَ سَقَطْتَ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهَرَةَ بِنْتَ الصُّبْحِ ؟ كَيْفَ قُطِعْتَ إِلَى الأَرْضِ يَا قَاهِرَ الأُمَمِ ؟ " (إش١٤: ١٢).

كما أن الشر لم يُخلق فكل ما خلقه الله إنما هو" **حَسَنٌ جِدّاً** " (تك١: ٣١)، ولهذا يقول **القديس باسيليوس الكبير** : " من يقول لا إله هو جاهل وعـديم العقـل والمعرفـة ، وأجهل من الجاهل من يقول إن الله هو مصدر الشر، إن

خطيئتهما واحدة متساوية، لأنهما كليهما يُنكـران وجـود الإله الصالح، الواحد يقول إنه غير موجود والثانى يصفه بأنه غير صالح " *

ولكن، ألم **يقل الله**: " أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ، مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ، صَانِعُ السَّلاَمِ **وَخَالِقُ الشَّرِّ**، أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ هَذِهِ " (إش٤٥: ٧)،

نعم، لقد نطق الله بهذه الآية، وهى تُوحى لكـل مـن يقرأها بسطحية أن الله قد خلق الشر! ولكن لو عرفنا **لمن قيلت هذه الآية، وما هو هدفها**، لوجدنا أنها لا تسند الفكر الغنوسى المنحرف، بل هى تقاومه.

وإليك التفسير:

أولاً: قيلت هذه الآية **لكورش** Cyrus ، وهـو ملـك فارسى، دُعى مسيح الرب (إش٤٥: ١)، ويـذكر عـزرا الكاهن: إن كورش قد أصدر فى السنة الأولى لملكه، نداء يسمح فيه لليهود بالرجوع إلى أرضهم، وكانوا قد صرفوا حوالى " **سبعين** " سنة فى سبى بابل..(عز١).

---

* مقالة: فى أن الله ليس سبب الشر، نُشر فى كتاب مختارات من أدب آباء الكنيسة لبطريرك السريان إلياس الرابع معوض ص٢٨.

ولكن كورش كان يؤمن مع الفرس فى ذلك الوقت، بتعاليم **زرادشت** التى تقول: إن الكون خاضع لمبدأين متعارضين، أحدهما " **الخير** " ويخضع للإله " **أورمازد** Ormuzd " ، والثانى " **الشر** " ويخضع للإله " **أهريمان** Ahriman " ! وكل إله يحيط به جيش من أنصاره، وهذه الحرب الدائرة بينهما فى سبيل السيطرة على العالم، ستنتهى بنصرة إله الخير، الذى سيلقى بأهريمان فى أعماق الجحيم!

والسؤال الحائر هنا: إن كان إله الشر سوف يُهزم هزيمة ساحقة، أمام جبروت أورمازد إله الخير، فكيف يكون الإلهان أزليين ومتساويين؟! إذن لابد أن يكون الإله الأقوى هو الأزلى والخالق.. **ولا يوجد إله آخر سواه**، أما الشيطان فهو كائن شرير، وقد كان صالحاً حينما خُلق، وهذا ما أراد الله أن يُعلنه لكورش الملك.

ثانياً: أما بالنسبة لكلمة " **شـر** " فقد وردت فى الكتاب المقدس **بمعنيين**:

فهناك شر يُقصد به **خطية**، وليس هذا هو المقصود هنا، وهناك شر يأتى بمعنى **مصيبة**، أو **كارثة**، أو **بلية**.. كما جاء فى سفر عاموس النبى: " **هَلْ تَحْدُثُ بَلِيَّةٌ فِي مَدِينَةٍ وَالرَّبُّ لَمْ يَصْنَعْهَا ؟** " (عا ٣:٦) ، وكما قال

أيوب الصديق: " **أَ الْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَالشَّرَّ لاَ نَقْبَلُ ؟** " (أى٢: ١٠) *

ومن يتأمل فى الكلمة العبرية " **רע** رع " * والتى تُترجم بمعنى " **شر**" ، يجد أنها لا تعنى الخطية بل ثمر الخطية، أى: سيئ، شرير، منحط، خطير، خبيث، قاسٍ، مزعج، مقرف..

وهكذا تترجم كلمة **Calamity** بمعنى: خسارة، أو كارثة، أو نكبة، أو سوء حظ *

يقول القديس يوحنا ذهبى الفم:

" يوجد شر هو فى الحقيقة شر: الزنا، الدعارة، الطمع.. كما يوجد شر هو فى الحقيقة ليس شراً، إنما يُدعى كذلك مثل: المجاعة، الكارثة، الموت، المرض، لأنها لو كانت شروراً لَمَا كانت تُصبح مصدراً لخيرنا، إذ

---

* ناشد حنا - إشعياء مفصلاً آية آية، ج ٢، ص٥١.
- راجع مقدمات العهد القديم - د/ وهيب جورجى، ص٣٦٠.
* قاموس قوجمان عبرى - عربى، دار الجيل ببيروت، ص٨٨٤ .
- تُكتب الكلمة العبرية "רע" بالإنجليزية "Ra" وللتأكيد ولمزيد من التفسير، راجع سفر إشعياء للقمص تادرس يعقوب، ص٤١٣.

* Webster's Dictionary. p. 60.

تؤدب كبرياءنا وتكاسلنا، وتقودنا إلى الغيرة، وتجعلنا أكثر يقظة " *

أما القديس **يوحنا الدمشقي** فيقول: " لا يُقصد بهذه الكلمات أن الله هو مصدر الشر، بل إن كلمة شر تعني أحياناً ما هو شر بطبيعته، وهذا ضد الفضيلة وإرادة الله ، وأحياناً تعني ما هو شر وضيق، لإحساسنا أن الأحزان والكوارث.. تبدو شراً لأنها مؤلمة، وإن كانت في الحقيقة هي صالحة، إذ تكون بالنسبة للفاهمين إنذاراً للتحول والخلاص" *

ولا يخرج **الأب ثيؤدور** عن هذا المعنى، إذ يقول: " إن الطبيب يقوم بقطع أو كيّ، الذين يعانون من القروح لأجل سلامة صحتهم، ومع هذا يراه غير القادرين على الاحتمال إنه شر" *

سؤال

ويتساءل البعض: إن كان الكون يديره إله واحد صالح، يُحبنا، ولا يريد سوى الخير لنا، فلماذا تحوّلت

---

* القمص تادرس يعقوب - تفسير سفر إشعياء، ص٤١٣.
* القمص تادرس يعقوب - تفسير سفر عاموس، ص٣٩.
* المرجع السابق ص ٤٠.

الحياة إلى **مستشفى** كبير للأمراض النفسية والعصبية ؟!
وثمة ألوف من البشر الذين تحطمت بيوتهم، وتزعزعت مبادئهم.. يتساءلون: أين سطور الفرح في كتاب حياتنا ؟! هل تظل أنفسنا بين جدران مظلمة تتنفس هواءً مفعماً بالحقد والكراهية.. ؟! إلى متى نرتدي ثياب الفقر المبطّنة بأنفاس الموت؟! إذهب إلى أى مكان شئت لترى آثار الألم سواء فى تنهدات المرضى ، أو تأوهات الجرحى ، أو معاناة الفقراء..

ونحن لاننكر أن العذاب قد خيّم بظله الكثيف على كل المسكونة! ولكن من أوجد الألم: الله أم الإنسان ؟! وهذا السؤال يدفعنا إلى سؤال آخر: **هل يمكن أن تستمر الحياة بدون ألم ؟!**

نعترف بأن الخليقة الحسّية لايمكنها أن تخلو من الألم! فالجوع، العطش، التعب.. آلام تشعرنا بحاجتنا الطبيعية، فننشط لإشباعها سواء بالأكل أو الراحة.. وهكذا تستمر الحياة، ونتجنب الموت الجسدى نسبياً! فلولا الألم لوضع الطفل يده فى النار، دون أن يشعر بالخطر المحيط به، ولولا ألم الأسنان لمَا فكر الإنسان فى معالجتها: سواء بالتخلص منها بخلعها، أو بسد ثغراتها التى تجد الجراثيم فيها منفذاً لداخل الجسم، فتسممه وتقضى عليه.

إن الألم **يُغنى** الإنسان أدبياً وروحياً.. فنتعلّم الصبر وضبط النفس والتواضع.. وحينما يقول فلاسفة المسيحية: **إن الألم آداة تطهير*** فإنهم يعنون بذلك:

إن آلام الحياة هى التى توجه بصرنا، نحو القيم الروحية، والمبادئ الأخلاقية السامية، فترتفع بنا إلى الطهارة القلبية، ولعل هذا هو السبب فى أن المسيحية، تُعلّق أهمية كبرى على تحمّل الألم والجهاد فى الحياة!

إن كثيرين لا يعترفون بقيمة الألم، ذلك لأنهم لا يرون فى الحياة سوى اللذة، واللذة فى نظرهم هى إشباع شهوات الجسد، ولهذا نظروا إلى الألم على أنه مظهر من مظاهر الشر، لا يجنوا منه سوى حرمان يجب تجنبه!! فجاءت المسيحية بتعاليمها السامية، لتصحح هذه المفاهيم الخاطئة، ورفعت من شأن الألم، ونظرت إليه كعطية تهذب أخلاق البشر، وتسمو بهم روحياً ونفسياً..

ومع أن غالبية البشر يقابلون الألم بـ " **لا** "، واللذة بـ " **نعم** "، إلا أن الإنسان لا يمكن أن يقتنى أسمى القيم وأرقى المبادىء إلا بآلامه وجهاده، وهكذا فإن من يقوى على احتمال الألم يخرج من التجربة أقوى صلابة، وأشد

---

* الدكتور زكريا إبراهيم - المشكلة الخُلقيّة، ص٤٠.

عزيمة، وأصلب عوداً، فالألم لمثل هذا، فرصة ثمينة لزيادة قدرته على الاحتمال، وتنمية لأخلاقه، وتنقية لمعدنه الإنساني..

مشكلة

قد تقبل كل ما قلت، وتقتنع بكل ما للألم من إيجابيات، ولكن كيف **نحل مشكلة الموت** الذى يعد ألم الآلام؟!

يجب أن نعترف بأن الموت هو "**سر**"، بل أعظم أسرار الوجود! وعلى الرغم من أن الموت هو الحقيقية الوحيدة التى لا يرقى إليها الشك، إلاّ أنه السر الغامض، الذى لا يمكن للعقل البشرى أن يصل فى يوم ما إلى حله، أو كشف غموضه، **وها نحن نتساءل**:

أين تمضى الظلال البشرية، التى تخبو تحت ظلمات الموت؟ أين تذهب الأرواح التى يطويها الزمان؟ هل إلى الفردوس أم إلى الجحيم؟ وإن قلنا فى إحداهما، فماذا تعمل هناك؟ كيف تقضى وقتها؟ بل ما هو مفهوم الزمن هناك؟ وإذا صح أن الموت هو رقاد مؤقت كرقاد النوم، فما هى الأحلام التى تطوف بنا فى مثل هذا الرقاد..؟! *

---

* د/ زكريا إبراهيم - مشكلة الإنسان، ص١١٠-١٣١.

أسئلة كثيرة، لا نستطيع أن نجيب عليها إجابة حاسمة، ولا بديل إلاّ أن ننتظر حتى نعرف بأنفسنا، الإجابة على كل التساؤلات التى تدور فى أذهاننا حول الموت.

ولكننا نقع فى مشكلة، عندما ننظر للموت على أنه نهاية فقط، ناسين أن الموت وإن كان نهاية، إلا أنه فى نفس الوقت بداية، هو بداية لحياة أكثر إشراقاً، حيث لا حزن، ولا ألم، ولا مرض، ولا خطية، ولا جوع، ولا عطش، ولا ملل فيها..

والحق إن النظرة الروحية ترى: إن الموت ليس نهاية الحياة، بل هو بداية تجديدها، فنحن ننظر إلى ما وراء الموت الجسدى، ننظر إلى إعادة الاتحاد بين الروح والجسد فى اليوم الأخير، ومايتبعه من لقاء بين الله والبشر فهل لنا أن نقول: **إن الموت عطية إلهية، لو لم يعطها الله لطلبناها متوسلين ؟!**

لا ننكر أن الحياة **عطية من الله**، والعالم صالح، لأن فوائده أكثر من مساوئه، فمجرد نظرة سريعة على عظمة الكون وجماله ونظامه، وهندسة الجسم الإنسانى، وسمو النفس البشرية.. تؤكد رأينا فى العالم، **والدليل:** هو تعلق الإنسان بالدنيا ومباهجها، وما يشعر به من أسف شديد على مغادرتها عندما تقترب ساعة موته ! والسؤال هنا:

إن كانت الحياة حسنة والموت هو نهايتها، فهل يُعتبر نهاية الخير شر؟

لنفرض أنك تملك بيتاً، وهذا البيت محاط بجدران تؤكد حدوده، فهل الجدران تعد شراً ؟! إنها **تحدد الملكية فقط**، فإذا هُدمت اضمحلت الملكية، وهكذا الموت فإنه حد الوجود ولهذا لا يمكن أن يكون شراً!!

لا تتعجبوا إن قلت لكم: إن الموت الذى يقضى على الكائنات الحية، هو **ضرورى لا ستمرار الحياة وتجديدها!** فالأرض محدودة، ولو بقى فى الوجود كل البشر، لعجزت عن إيوائهم وتغذيتهم.. إذن انسحاب الحياة من البعض، يسمح لأعداد لا تحصى من الكائنات الحية أن تتمتع بالحياة.

دعنا نتساءل: ماذا لو تُركت الفئران والنمل والنحل والذباب والوحوش.. تتكاثر بدون موت ؟ بالطبع سوف تغطى بعد فترة قليلة كل وجه الأرض، وفى نفس الوقت ستُعذب البشر!

إذن فالموت **عطية إلهية صالحة** * تشهد لنا بحب الله لخليقته المتألمة، نعم، فالله الذى أحب الإنسان وعلى

---

* القمص تادرس يعقوب ملطى - عطية الموت.

صورته المقدسة خلقه، يرفض أن يظل الإنسان يعانى بلا حدود فى عالم ساقط، إلا إذا أراد الألم، وألقـــى بأعمالـــه الردية نفسه فى هوة الجحيم!

قد تقول : ولماذا لا يحيا الإنسان فرحاً، مسروراً إلى الأبد ؟ أقول: إن كان الفرح آت فما هو الضرر؟! المهـم أن يكون لدينا اقتناع تام، بأن الله لا يريد سوى أفراحنـــا، ونحن الذين بخطايانا ندخل الحزن إلى قلوبنا!



الفصل الثاني

ما هو الشر ؟ جذوره

إن كل من ينظر حوله، أو يفحص بدقة قلبه، يرى جمهرة من الشرور لا حصر لها، التي يمسك بعضها بيد البعض الآخر، وكأنما تريد أن تضرب حصاراً منيعاً حوله، أو تلف ذيلها السام الطويل حول عنقه لكي تحد من حركته، وتعوق مسيرته للوصول إلى الحياة السمائية!

وليس الإنسان وحده هو الذى يئن، تحت وقع أسواط الشر المؤلمة، فالحيوان يتألم، والجماد يتهدم، والأشجار تتهتك... الخليقة كلها كما يقول معلمنا بولس الرسول: " **تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعاً إِلَى الآنَ** " (رو٨:٢٢)، وهى تحلق فى ضباب العدم، وتنتظر لحظات الفناء!

ولكننا نعترف بأن الشر، وإن كان ينشب بأظافره الحادة فى الوجود، إلا أن الإنسان وحده هو الذى يستشعر الشر، بوصفه الكائن العاقل الوحيد بين جميع المخلوقات، فالشجرة المقطوعة لاتشعر بالألم، والبيت المنهار لايعرف معنى الفناء.. أما الإنسان فيشقى ويعرف سر شقائه!

ولكن شقاءنا لا ينحصر فقط فى شعورنا بالمرض، أو الألم، أو الحرمان.. فهذه ربما تكون علامات على طريق الحياة، وقد تعود علينا بالبركات! أو تنمى ما فينا من مواهب وقدرات.. **إنما هذا الشقاء يرتبط ارتباطاً وثيقاً بشعورنا الأخلاقى**، بما تركته فينا الخطية من تشوهات قد طبعت بصمتها على جهازينا: النفسى والعصبى، أو بما يجول بخاطرنا من نزعات شريرة، نجزع لِما فيها من خبث أسود مخيف.

ما هو الشر ؟

فما هو الشر، تلك **القوى الخبيثة** التى تحيط بنا، دون أن يكون فى وسعنا، إغلاق النافذة فى وجهها، أو إرخاء الستار عليها؟! ما هذا **الثعبان الجهنمى** الذى يمتص دمائنا ويستنزف دموعنا ؟!

إنه **انحراف الإنسان عن فعل الخير**، فإن كان الخير هو الرغبة الصادقة فى عمل الفضيلة، فإن الشر هو الحركة المضادة، التى تهدف إلى ممارسة الرذيلة، والتقليل من شأن القيم الروحية والمبادئ الأخلاقية.. وتبعاً لذلك فإن ما نسمّيه **شراً**، هو يمثل **حركة إنحلال أو تدهور** تؤدى فى النهاية إلى عملية عرقلة فى طريق الأبدية.

إذن ليس الشر **مادة أو شيئاً ملموساً**، بل هـو ذلـك الاختلال، الذى يجعلنا نعمل فى إتجاه آخر بعيداً عن الله، فما خلقه الله كآلات بر، صار آلات إثم بفعل القوى الخبيثة التى تطاردنا! لا تتعجبوا! فالإنسان بعد السقوط، قد صار **يحمل الثنائية فى أعماقه**: الفرح والحزن، النجاح والفشل، القوة والضعف.. فى لحظة يتحرك كبندول الساعة، مـن أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، من أقصى الخيـر إلـى أقصى الشر!

ولو كان الشر **عضواً** من أعضاء الجـسم، لقطعنـاه وارتحنا من عنائه، فهو ليس فماً، أو أنفاً، أو يداً، أو قلباً، ولكنه مرتبط بكل الحواس والأعضاء، وهكذا يخرج الشر كالكلام من الفم، والشم من الأنف، والضرب مـن اليـد، والحسد من القلب..

ومن المؤكد أن **ليس ثمة ميكروباً معيناً يفرز الـشر** فى الوجود، وعبثاً نحاول أن نقبض على الـشر متلبـساً، لكى نحاكمه، أو نودعه السجن، على الفساد الذى تـسبب فيه ! إنه ليس بشئ، وهو ليس فى أى مكان، فليس للـشر وجود إلاّ إذا توقف الإنسان عن فعل الخير.

وهذا ما أكده القديس **أُغسطينوس** عندما تحدث عـن مفهوم الشر قائلاً: " ليس الشر مبدأ منفصلاً قائماً بذاته فى

وجه الله منذ الأزل، إنه **غياب وضياع وافتقاد للخير** الذى سمح به الله، وهو نتيجة استخدام خاطئ للإرادة الحـــرّة، كما يتضح ذلك فى تمرد الملائكة وعصيان آدم، ولقد كان الله على علم بإمكانية سوء استخدام حريـــة الإرادة، ومـــا تجره من ويلات، ولكنه سمح بذلك لأن كل شـــئ تحـــت سلطانه، ولأنه من الأفضل استنباط الخير من الشر، بدلاً من استئصال الشر من جذوره، أما سلطان الله على الخير والشر، فهو يتمثل فى عمل السيد المـــسيح الـــذى عـــالج الحالة بدمه وصليبه وانتصاره ".

ويؤكد مار **أوغريس** أن الشر ليس **جوهراً**، أى لـــيس له كيان وجودى، ولكنه **غياب الخير**، شأنه شأن الظـــلام الذى يعنى غياب النور*

ويتفق القديس **باسيليوس** الكبير مع مار **أوغـــريس**، فى أن الشر لا وجود له بحد ذاته، وإنما يتأتى من النفس* فالشر قد دخل إلينا عبر الإرادة البشرية، فهو لذلك لـــيس **طبيعة** physis ولكنه **حالة** exis، أى استعداداً رديئاً، إذن فالشر ليس له وجود إلا لمن يريده فقط ولهذا يقول القديس

---

* القمص تادرس يعقوب ملطى - الفيلوكاليا، ج١، ص ١٥٨.
* د/ عدنان طرابلسى - الرؤية الأرثوذكسية للإنسان، ص١٤٣.

غريغوريوس النيصى: " لا توجد الخطية في الطبيعة بمعزل عن الإرادة الحرة، إنها ليست جوهراً قائماً بذاته "، أما **مكسيموس** المعترف فيقول: " حتى الشياطين أنفسهم ليسوا أشراراً بطبيعتهم، لكنهم أصبحوا هكذا عندما أساءوا استخدام قدراتهم الطبيعية " *

نستطيع أن نقول: إن الشر كامن فى نياتنا، ومقاصدنا، ونظرتنا السلبية للأشياء، إنه التواء أو سوء استعمال ما هو حسن فى ذاته.. ولهذا يقول **أحد الفلاسفة**: " إن الطفل لا يولد قديساً صغيراً تأتى نماذج السلوك السيئ فتفسد عليه طهارته الأصلية، بل أصل المرض كامن فى صميم تكوينه منذ البداية ".

هذه حقيقة والدليل: إن الطفل وهو لايزال يجهل معنى الخطية ومفهوم الشر، قد يكذب ويسرق ويشتم.. وإذا كبر يعمل ما هو أشر بمفرده دون أن يؤثر عليه أحداً ! وهذا إنما يدل على أن الإنسان يولد وهو يحمل فى أعماقه ميول سلبية، تدفعه إلى عمل ما هو مخالف للفضيلة!

حقاً إن آدم هو الذى قد أخطأ، عندما خالف الوصية، وأكل من الشجرة التى نهاه الله عن أن يأكل منها! إلاّ أن

---

* الأسقف كاليستوس وير- الطريق الأرثوذكسى، ص٦٥.

خطيته لم تبقَ عالقة به وحده، بل انتقلت منه إلى أبنـــاءه ميراثاً مشئوماً، فأصبح السقوط لا سقوط إنسان، بل سقوط البشرية بأكملها *

ألم يقل داود النبى: " **هَئَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي**" (مز ٥١: ٥)، وأيوب الصديق يقول: " **مَنْ يُخْرِجُ الطَّاهِرَ مِنَ النَّجِسِ ؟ لاَ أَحَدٌ !** " (أى١٤: ٤)، آيات كثيرة.. تؤكد أن بؤرة الفساد ليست بعيدة عنا، بل هى قريبة كل القرب منا!

ميـلاد الشر

إن **أصل الشر** وسبب وجوده فى الكون، كان ولا يزال مصدر حيرة وارتباك لعقول كثيرين، من البسطاء وأيضاً المفكرين.. وأكثرهم يتساءلون:

إن كان الله كلى القدرة والحكمة والمحبـــة.. **فلمـــاذا يسمح بالشر؟!** لماذا يقبل إله الرأفـــة أن تــصير الأرض مسرحاً للألم؟! أسئلة كثيرة.. تدفعنا إلى سؤال جوهرى ألا وهو: **من هو أصل الشر؟!**

---

* بحث فى خطية آدم وكيف عمّت نسله مع أنهم لم يشتركوا فى معصيته، للقمص ميخائيل مينا، نُشر بمجلة الإيمان السنة (٤).

نعترف بأن الله قد **أحب الإنسان** قبل أن يخلقه، وإلاّ ما كان على صورته ومثاله خلقه " **وَقَالَ اللهُ نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا.. فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِه**" (تك١:٢٧) فإن كان حب الله لا بداية له فهو إذن لن ينتهى ولهذا يقول الله بفم إرميا النبى: " **مَحَبَّةً أَبَدِيَّةً أَحْبَبْتُكِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَدَمْتُ لَكِ الرَّحْمَةَ** " (إر٣١: ٣).

ولكن الإنسان ليس بداية الخليقة، بل هو آخرها، إذ سبق **فخلق الملائكة** أرواحاً لتسبحه وتتلذذ بحبه.. إلا أن **رئيس ملائكة**، كان فى أسمى مراكز السلطان والمجد بين ساكنى السماء **تكبّر!** كيف ؟ لأنه يملك **إرادة حرة** بها يُحدد: **يُحِب الله أم لا ؟**

لقد قال فى قلبه: " **أَصْعَدُ إِلَى السَّمَاوَاتِ، أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ اللهِ.. أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ، أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ** " (إش١٤: ١٣،١٤)، فكانت النتيجة أنه انحدر " **إِلَى الْهَاوِيَةِ إِلَى أَسَافِلِ الْجُبِّ** " (إش١٤: ١٥).

وهكذا سقط الشيطان، واختار أن يحيا بعيداً عن الله، بكامل إرادته وبملء حريته! وقد أسقط معه ملائكة كثيرين لا نعرف على وجه التحديد كم هو عددهم، عُرفت بعد السقوط باسم الشياطين أى: المقاومين، أو المعاندين... وهى التى **أعطت للشر ميلاداً !!**

إذن فالله لم يخلق الشيطان شريراً، بل حراً، كاملاً، إلا أنه بسبب الكبرياء قد سقط، أقامه رئيساً لأعظم طغمة سمائية، فطغمة الكاروبيم كانت تحمل عرش الله كمركبة نارية، ولكنه بملء إرادته إنحدر إلى عذاب أبدى.. أعطاه الله غنى الروح فملأه من كل حكمة وجعل قلبه كقلب الآلهة، ولكن قلبه ارتفع لبهجته، وأفسدت حكمته لبهائه (حز٢٨:١٦،١٧) ألم يُسكنه الله المقدسات السمائية! ولكنه ارتضى بكامل حريته أن يسكن فى النار الأبدية ! *

ويكتب القديس **سيرافيم ساروفسكى** عن الشياطين قائلاً: إن رفضهم الواعى للنعمة الإلهية قد حوّلهم إلى ملائكة ظلام، وإلى اشمئزاز لا يمكن تخيّله، فالأقل منهم يمكنه أن يدمر الأرض، لذلك فهم يسعون لتدمير الخليقة من الداخل، بتحويل الحرية البشرية باتجاه الشر" *

هذا وقد **وصف** لنا الكتاب المقدس، ما كان فيه الشيطان من **مجد قبل سقوطه** هكذا:

---

* راجع باستفاضة كتاب " الله والإنسان العصرى " ، آرثر ليكى، إصدار دار الشرق الأوسط للطبع والنشر، لبنان - بيروت، ص٦٩-٩٢.

* Revelations of st. Seraphim .p. 1932.

" أَنْتَ خَاتِمُ الْكَمَالِ مَلآنٌ حِكْمَةً وَكَامِلُ الْجَمَالِ، كُنْتَ فِي عَدْنٍ جَنَّةِ اللَّهِ، كُلُّ حَجَرٍ كَرِيمٍ سِتَارَتُكَ، أَنْشَأُوا فِيكَ صَنْعَةَ صِيغَةِ الْفُصُوصِ وَتَرْصِيعِهَا يَوْمَ خُلِقْتَ.. أَنْتَ الْكَرُوبُ الْمُنْبَسِطُ الْمُظَلِّلُ، وَأَقَمْتُكَ عَلَى جَبَلِ اللَّهِ الْمُقَدَّسِ.. أَنْتَ كَامِلٌ فِي طُرُقِكَ مِنْ يَوْمَ خُلِقْتَ حَتَّى وُجِدَ فِيكَ إِثْمٌ "

(حزقيال ٢٨: ١٢ــ ١٥)

العقل ومشكلة الشر

إن أى إنسان يفكر بطريقة إيجابية، لايستطيع أن ينكر ما فى العالم من أشياء حـسنة: فالنظــام فـــى الطبيعـــة، والفضيلة فى الإنسان، والأمومة فى المرأة، والبرأة فـى الأطفال، والسعى إلى العدل، والرغبة فى العطاء.. كـل ذلك يجدد ثقتنا فى الله ويقوّى إيماننا به لأن **القيم الإيجابية لا يمكن أن تأتى من قوى عمياء، بل هى تقتضى ذكـاءً عادلاً، خيّراً...**

ولكننا لا نرى فى هذا العالم، انتصار العـدل علـى الظلم، والعطاء على الأنانية، والمحبة علـى الكراهيـة، والنجاح على الفشل... بصورة مطلقة! بل كثيراً ما نرى مقاومة شديدة للمحبة ورفض مستمر للفضيلة، والأمراض تعذب الشباب، والأبرياء يُضطهدون، والأشرار يقتلـون

بغير عقاب..!! وكل هذا يجعلني لا أنسب مايحدث إلى الله لأن العقل يقول: **إن أصل الخير لا يمكن أن يكون هـو أصل الشر!!**

وهل ننكر أن الشمس ليست هى سبب الظلمة! فالشمس مصدر النور، ولكن إذا غاب النور، خيّمت الظلمة علـى وجه الأرض! ولا ينشأ المرض من قوى حيّة سليمة، ولا يعود سبب جهل التلميذ إلى الأستاذ القدير، كما لا يعـود أصل البرد إلى النار.. ففى هذه الأمثلة يتـدخل عنـصر خارجي: الشخص الذى يبتعد عن النور، العامل المرضى أو ما يُدخل المرض، التلميذ الذى لا يصغى إلى المعلـم، الرجل الذى لا يوقد النار أو لا يدنو منها.

نستطيع أن **نُشبّه الشر بقطعة نقـود مكسورة** ، ولا يوجد سوى نصفها فقط، فيرى البعض فى ذلك دليلاً على أن نصفها الثانى موجود، ويرى البعض الآخر فى هـذا، دليلاً على أن مؤسسة صك النقود لا وجود لها!!

والحق إن من يتهم الله بما يحدث فـى العـالم مـن تشوهات.. يتناسى أن الناس هم الذين خرّبوا العالم، الذى خلقه الله فى أجمل صورة من أجلهم! ولو أن الناس مجرد أشخاص آليين، تحركها مجموعة من الغرائز، لكان كل ما يحدث فى العالم يُنسب إلى الله.

إن **الكمبيوتر** الذى لا يعمل، لا يكون- دائماً - دليلاً على عدم كفاءة الشركة المنتجة، فقد يكون أُسئ استعماله! ولهذا تُعطى الشركة كتيّب عن التعليمات الضرورية لحفظ الجهاز وكيفية الاستعمال.. وهذا ما فعله الله عندما خلق الإنسان، إذ أعطاه وصايا لكى تُنير طريقه، وميّزه بعقل وحرية، يستطيع بهما أن يحافظ على حياته، وعلاقته مع خالقه... أو أن يرفض الله والحياة معه! والله الذى وهبه هذه النعم عليه أن يتقبل منه الرفض والعصيان، ولا يعنى هذا أن الله يأمر بالشر! وإنما يحترم حرية الإنسان حتى الخاطئ! بمعنى: إنه وهو يعترف بحرية الإنسان، عليه أن يترك له تحمّل النتائج وحده!

نعترف بأن معظم المصائب تعود إلى الإنسان، فمن أين تأتى أمراض القلب والضغط والسكر.. ومن الذى يتسبب فى القتل والسرقة والزنى... ؟! لماذا لا نسلّم بأن الأخطاء البشرية، هى التى قلبت النظام الذى وضعه الله، ألم يقل سليمان الحكيم: " **اللَّهَ صَنَعَ الإِنْسَانَ مُسْتَقِيماً أَمَّا هُمْ فَطَلَبُوا اخْتِرَاعَاتٍ كَثِيرَةً** " (جا٧:٢٩).

والعجيب فى الإنسان، إنه قبل السير فى أى طريق يقول: " **أنا حر**"، ولكنه عندما يسقط وتتعثر خطواته، يلقى بالمسئولية على الله! لأنه قد سمح بأن يسقط فى المستنقع

الملوث! وكثيراً ما تبدأ أسئلته بأداة الاستفهام الشهيرة : لماذا .. لماذا .. ؟؟

انتبه: مشكلة !

لقد سقط ملاك وبسقوطه قد سقط مجده، وضاعت هيبته، وتلاشت كرامته.. ولهذا لم يحتمل أن يرى الإنسان ممجداً فغار منه وحسده (حكمة ٢: ٢٣ ،٢٤)، وأخذ فى محاربته لكي يُسقطه، **وقد كان وحدثت المأساة!** وأصبحنا الآن أمام **معضلة**، جعلت أكثر الناس يتساءلون: **ألم يكن فى وسع الله القادر على كل شئ، أن يسند آدم ويمنع سقوطه؟!**

والإجابة: نعم، فالله القادر على كل شئ، كان يمكن أن يوقف هذه المهزلة بصورة أو بأُخرى، ولكن الله محبة، وكل ما يخرج منه أو يصدر عنه... إنما هو حب ويدعو إلى الحب، وقد خلق الإنسان لكي يحيا فى دائرة حبه، **والمحبة والحرية لا ينفصلان**، فحيثما توجد محبة توجد حرية، أما الإكراه فيلغى المحبة، وهل يمكن للسيد أن يعرف مدى حب عبده وإخلاصه له إلاّ إذا أعطاه حريته؟!

كما أن الإنسان بدون حرية لايكون إنساناً، كائن عاقل بدون حرية لم ولن يوجد بعد، ونحن نعرف أن الحيوان

ليس له مصير لأنه خُلق لخدمة البشر، أما الإنسان فهــو صاحب مصير، وهو الذى ينسج مصيره بنفسه، وهــذا لا يمكن أن يتم إلا فى وجود الحرية! ولهذا خلق الله الإنسان من الألف، لكى يصل إلى الياء بإرادته، كما قال **باســكال** الفيلسوف!

بلغة البشر القاصرة نقول: إن الله أقدَمَ على مخاطرة، قد تضر بالإنسان ألا وهى: خلقته كائنات حرة لأن فى عطية الحرية تكمن إمكانية السقوط فى الخطية! هذه حقيقة ولكن **الذى لا يخاطر لا يُحب**، وها نحن نتساءل: ألــم تخــاطر يوماً براحتك بل بحياتك من أجل أُسرتك وأولادك.. لماذا؟ أليس لأنك تحِبهم!

ولو عدنا إلى قصة الخلق، لوجدنا أن الله خلق الإنسان سيداً، ملكاً يتربع على عرش الخليقة، فكان ولابد أن يكون هذا الملك حراً، يستعمل عقله وإرادته الحــرة فــى كــل أعماله، أقواله، قراراته، مواقفه، اختراعاتــه.. وبكامــل حريته يُحِب الله ويحيا معه، فإن شاء نما، وإن لم يشأ قطع علاقته بخالقه، وعاش لنفسه، وعليه أن يتحمــل النتيجــة وحده!

ألم يخلق الله الإنسان على صورته ومثالــه، **فكيــف يُخلق الإنسان فى أسمى صورة، دون أن يحمــل معهــا**

أسمى عطية ألا وهى: الحرية ؟! ولهذا السبب لم يتدخل الله لكى يمنع سقوط الإنسان، وعندما عصت الملائكة قبله، تركها هى الأخرى تسقط، رغم علمه السابق بكل ما سيحدث!

إن مشكلة سقوط الإنسان التى تؤرق البشر، يمكن أن تُحل بمعادلة بسيطة جداً، قالها قداسة البابا **شنودة الثالث** ألا وهى: **كان الله يعلم بسقوط الإنسان، وكان أيضاً يعرف وسيلة خلاصه!** وقد ارتضى حب الله، أن يتجسد ابنه الحبيب ويموت لكى يخلّص الإنسان! وقد أعلن بذلك حبه الكامل له، ولكنه رفض أن يمنع الإنسان من السقوط، لأن المنع مناقض للحرية، وانتقاص من احترام الله للإنسان.

وحتى الآن رغم أن الله يُعلن عن حقيقة وجوده، بأساليب عديدة، وطرق شتى، ورغم أنه يريدنى أن أختاره إلهاً، وأحيا معه بكل مشاعرى، إلا أنه سمح لى بإمكانية لا أن أرفضه فقط، بل وأُنكر حقيقة وجوده أيضاً!! لأن معرفة الله بخطية آدم وخطايانا، لاتلعب دوراً فى الحد من حرية الإنسان، إن سمح الله بالتجربة " **يَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضاً الْمَنْفَذَ لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا**" (١كو١٠:١٣) ويترك الأمر فى النهاية لحرية الإنسان!

والحق إن كل من يريد أن يسلب الإنسان حريته، يريد وقف نموه الثقافى.. والقضاء على إبداعه.. ونحن لا ننكر أن الحرية هى التى تجعل الطالب المتمرد يرسم الخطوط الملتوية والعشوائية، ولكنها فى نفس الوقت تساعد الطالب الهادئ، الوديع الذى يريد التفوق، علــى إنجــاز كتابــة مستقيمة على خطوط ملتوية!

جواب فى أسئلة

قد يروق لك مثل هذا الكــلام، وتقتنع بأن احترام الله لحرية الإنسان، منعه من التدخل لكى يمنع سقوطه، وقــد **تعترض متساءلاً:** إن كان الله يعلــم بـسقوط الإنــسان، ويعرف مسبقاً بكل معاناته وآلامه... فلماذا خلقــه مــن البداية ؟!

وها نحن نُجيب ليس بمقالة مطوّلة كما هــو متّبــع، وإنما بعدة أسئلة: هل تنكر أنك ولدت تحمل طبيعة ميّالة للشر منذ حداثتك، وهى التــى جعلتــك تُخطــىء ؟! وإذا قررت الزواج، هل تنكر أنك ستتزوج إنــسانة ســقطت وستسقط مثلك ؟! وأعتقد لو أنك أنجبت فإن أولادك سوف يحملون نفس ميولك السلبية، كما حملتها أنت من والديك! وبكل تأكيد سوف يسقطون كما سقطت أنت وزوجتك..

والسؤال الحائر هنا: ما هـو الـسبب الـذى دفعـك للإنجاب، وأنت تعرف سر آلام أولادك قبل أن يولدوا ؟! ألا يستحق تصرفك هذا أن نتعجب!! طالبين منك جواباً أو تفسيراً ؟!

لكن العجب يزول لو سلّمنا بأن حُبك الفريد لأولادك، وأُبوتك الحانية لهم، ورعايتك المهذبة المتفانية لهم.. لـم تدعك تفكر لحظة فى أن أولادك سوف يُخطئون، وأنـت الذى سوف تتحمل مسئولية أخطائهم، خاصـة إن كنـت ستبذل قصارى جهدك، مـن أجـل راحـتهم ونمـوهم وسعادتهم..

إذن مسئوليتك تجاه أولادك، تتوقف أولاً وأخيراً، على مدى اهتمامك بهم ورعايتك لهم، ولـيس علـى إنجابـك إياهم، فإن أطاعوا تعاليمك وعملوا بها نموا فى الحيـاة، وعاشوا سعداء، وإن عصوا فسوف يتحمّلون وحدهم نتيجة تمردهم عليك، أما أنت فبكل تأكيد ستكون بريئـاً أمام الله والمجتمع.

يقول غريغوريوس بالاماس

" إن الإنسان بملء حريته يختار أن يسكن فى الجحيم، فهو هناك ليس لأن الله قد سجنه، ولكنه هناك لأنه اختـار ذلك لنفسه، فالله لا يريد عبيداً فى الملكـوت بـل أبنـاءً

أحراراً، لا يريد آلات بل بشراً، فالضياع فــي الجحــيم دينونة ذاتية أو عبودية ذاتية، لقد قيل بحــق: **إن أبــواب الجحيم مغلقة من الداخل لا من الخارج** " *

ســؤال

إن كل ما سبق من حجج وبراهين، قد يدفع الــبعض إلى سؤال مثالى ألا وهو: **لمــاذا لا يكتفــى الله بخلقــة الأبرار؟!** أليس فى هذا راحة له ولهم ؟!

ونحن لا ننكر أن المثالية هى رغبتنا بل حلمنا! ولكن، **ألم يكن آدم باراً يوم أن خلق؟!** ولنفرض أن جميع الناس قد صاروا أبراراً ! فمن قال إن البار لا بد وأن ينجــب أبراراً مثله ؟! وهل ننكر أن من أُنــاس أشــرار خــرج قديسون؟! إن هذا الفكر يحمل فى ثناياه عصمة الإنــسان، التى لن تتحق يوماً على الأرض، وهو ضد حرية الإرادة التى أعطاها الله للبشر وتحدثنا عنها من قبل.

كما أن عدم خلق الأشرار سيؤدى إلى **فساد الأبرار**، لا تتعجبوا! لأن الأحياء سوف يثقون فى خلاصــهم مهمــا كانت أعمالهم، وهذه الثقة ستدفعهم إلى تكديس أخطــائهم،

---

* د/ عدنان طرابلسى - الرؤية الأرثوذكسية للإنسان ص١١١.

وإهمال واجباتهم نحو الله والبشر.. دون أن يقلقهم شـيئاً!
وها نحن نتساءل: لماذا أخفى الله موعد مجيئـه الثـانى وساعة موت عن البشر؟ أليس ليكونوا فى استعداد دائـم، فتتعمق المحبة بينهم، ويسود السلام علاقاتهم، ويقـاوموا الظلام الذى يُخيّم على الوجود، لكى يعيشوا مع الله الـذى هو نور وليس فيه ظلمة البتة..



الفصل الثالث

مركز الشر فى حياتنا

ويتساءل البعض عنِ دور الشِر فى حياتنا ؟ فنجيب: بأن لدى كل إنسان حنيناً مستمراً إلى السكون والاستقرار النفسى، لكن الحياة كالترمومتر فى صعود وهبوط علـــى الدوام، وهى لا تسير على وتيرة واحدة، وباستمرار تمدنا بما يقلقنا، مما يشيع فى حياتنا التشتت وعدم الاستقرار..

وهذا **الانقسام الذاتى** الذى يهدد حياتنا، لــيس دخـيلاً علينا بل هو حقيقة لا يمكن إنكارها أو القــضاء عليهــا، والسر فى ذلك تكوين الإنسان، الذى يجعله يحيا فِى عـــدم تآلف، ليس مع الآخرين فقط، بل مع نفسه أحياناً! وهـــو الذى يدفع الإنسان باستمرار إلى الاستهانة ببعض المبادئ الروحية، أو الخروج عن بعض القواعد الأخلاقية، مـــن أجل شهوة عابرة، أو لذة فانية، من أجل أشياء أتفه من أن نذكرها!!

نعترف بأن الإنسان بعد السقوط قد صار **جهازاً مفككاً** ما أسهل أن تختل موجاته، وأصبح لديه استعداد للاستقبال

الشاذ فى أية لحظة، كما أن الاضطراب سرعان ما يدب فيه لأبسط الأسباب وأضعفها.. يسعى للخير لأنه يجد فيه استقراره وراحته واتزانه وتكامل شخصيته.. ولكنه يجد قدميه تتجه نحو الشر الذى يؤدى إلي تفككه وتشتته... ألم يقل معلمنا بولس الرسول: " **لَسْتُ أَفْعَلُ الصَّالِحَ الَّذِي أُرِيدُهُ بَلِ الشَّرَّ الَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ، فَإِنْ كُنْتُ مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ إِيَّاهُ أَفْعَلُ فَلَسْتُ بَعْدُ أَفْعَلُهُ أَنَا بَلِ الْخَطِيَّةُ السَّاكِنَةُ فِيَّ** " (رو٧: ١٩، ٢٠).

فالإرادة التى كانت سلاحاً قلدنا الله إياه، لنشق الطريق نحوه بكل محبة وحرية، صارت بعد السقوط سلاحاً نطعن به أنفسنا، نغمده فى صدورنا، وندمى به قلوبنا وقلوب غيرنا.. لقد مرضت الإرادة، وأصبحنا نرى لها أشكال: فهناك الإرادة الضعيفة، والزليلة، والفاترة..

ولعل أعظم دليل على التناقض الذى أصاب الإنسان، هو **الصراع القائم بين الروح والجسد**، فعلى الرغم من الاتحاد الوثيق الذى يربط بينهما إلا أن الحياة قد أثبتت لنا إن بين هذين الصديقين علاقة مضطربة يسودها التناقض والتعارض! " **فَالْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهذَانِ يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، حَتَّى تَفْعَلُونَ مَا لاَ تُرِيدُونَ** " (غل٥: ١٧).

وقد يسعى الإنسان فى طريق الخير، **ويندس الشر** فى صميم الأعمال الحسنة ليفسد نقاوتها، أو يشوه جمالها! هنا يظهر الشر بوجهه القبيح الذى يريد أن يقلقنا وينزع الفرح من قلوبنا.. إذن مهما اعتزلنا الناس، أو أغمضنا عيوننا، أو أغلقنا آذاننا.. فإن الشر مع ذلك يظل يهمس فى آذاننا، وكأنما هو يخاطبنا بآلاف من الأصوات الخفية!

والظاهر أن **حب الشر**، قد ملك قلوب البعض، بدليل: إن كثيرين يستشعرون غبطة دفينة أثناء الحروب، وكأنما يحلو لهم أن يروا دماء البشر، أو ينتشوا بصوت الرصاص، أو كأن فكرة شيطانية خبيثة، تراود أنفسهم فيتمنوا الموت لغيرهم.

وحين يفرح الإنسان للفشل الذى يلحق بقريبه، فإنه يعلن أن سُم الشر قد إندس فى أعماقه وامتزج بمشاعره.. وهذا ليس بجديد، فمنذ أن سقط الإنسان دخل دائرة العيب، وأصبح يحمل طبيعة يسودها التناقض: فها الخير والشر يتعاقبان، واللذة والألم يتقابلان! كما صار فرح المرأة بالولادة ممزوجاً بألم المخاض!

ولكن سواء أردنا أو لم نرد، فلابد من أن تسير سفينة حياتنا، محتملين ما فى أعماقنا من متناقضات، وما فى العالم من شرور وعثرات، ولعل أكبر خطأ يقع فيه

المثاليون، هو محاولتهم للقضاء على كل ما فى العالم من خطايا أو شرور! إنها وهم! لأن محو الشر يعنى محو الإنسان!

ولكن إن كانت طبيعة الإنسان قد أصابها الصدأ، وأصبح لا مفر من السقوط لأن: " **الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعاً، لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحاً لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ** " (رو٣: ١٢)، فهل نبرر كل ما فى الوجود من نقائض وضعفات ورذائل.. إلى وجود الشر فى العالم ؟! هل نريح أنفسنا من البحث فى مشكلة الشر، بأن نقرر فى سهولة بأن الشر لا بد منه ولا دخل للإنسان فيه ؟! أم نقول مع البعض: إن ثمة شئ اسمه الشر وهو الذى يتكفل بتفسير الغشاء المظلم للوجود ؟!

نعترف بأن الشر له **علاقة وثيقة باللذة والألم**، وهو بذلك يكون له علاقة بشتى الدوافع والميول، التى تصدر عنها أفعالنا البشرية! فمن المعروف أن الإنسان شأنه شأن الحيوان، يسعى نحو كل ما يجلب له اللذة، ويبتعد عن كل ما يسبب له الألم..*

---

* راجع باستفاضة " اللذة والألم فى حياتنا " - يوسف ميخائيل أسعد، إصدار مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٧- ١٢.

وهكذا يحيا- غالبية- البشر بين الاقتراب من الشر، والابتعاد عنه، وهم حينما يقتربون من الشر يشعرون بلذة وهميّة! لأنهم قد حققوا غاية شهوانية سعوا إليها، ولكنهم لم يجنوا منها سوى الحزن والقلق والألم.. أما حينما يبتعدون عن الشر، فيشعرون بسلام الله الذى يفوق العقل يملأ قلوبهم.

هذا التذبذب هو الذى جعل البعض، ينظرون إلى الشر نظرة سلبية! بحيث يكون فى وسعنا أن نقول: **إن المشكلة الكبرى فى الحياة هى مشكلة الشر!** أما الخير فلا يبدو بصورة. مشكلة تقتضى الحل أو تستلزم التفسير، لأننا حينما نفعل الخير، نجد أنفسنا بإزاء حل لا مشكلة، أما الشر فيبدو دائماً بصورة مشكلة **عسرة**، تتطلب عملاً حاسماً للقضاء عليها!

حقاً إن الخير يتخذ أحياناً صورة المشكلة لمن يريده، ويبحث عنه بصورة دائمة أو مطلقة وسط معوقات الحياة! ولكنه فى معظم الأوقات يمثل الحل لأنه حيث الخير هناك الحب، والحب لم يكن فى يوم ما مشكلة، إنما الحب كان ولايزال الحل الأوحد لجميع مشاكلنا!

هذه المشكلة، أعنى مشكلة الشر، جعلت كثيرين ينغمسون فى الحياة الشهوانية بصورة مقززة، وقد أباحوا

لأنفسهم عمل كل شئ، لأن الشهوة – في نظرهم – سـيد مستبد لابد من إرضائه! وهكذا اعتقدوا أن اللذة هى حـق مشروع لهم، وأن الكبت هو ظلم لا يجب الخضوع لـه!! ونتيجة لهذه المفاهيم الخاطئة، فإن الشر بكل ما يحمل من خطايا مدمّرة للإنسان، قد أصبح فى نظرهم كدخيل اقتحم حياتهم، وسيطر بسلطانه عليهم، ولا سبيل إلاّ إرضاؤه أو التكيّف معه!

ولو سألت خاطئاً لماذا تزنى؟ لربما كان جوابه: وهل أعطانى الله الغريزة الجنسية لكى أكبتها ؟! كيف يُعطينى الله لذة ثم بعد ذلك يطلب منى أن أمتنع عنها؟! إن كان الله يُحبنى فهو يريد سعادتى، وإن كانت سعادتى فى الجـنس فما الذى يضايقه ؟!

ونحن لا ننكر أن الشر دخيل على الطبيعة البشرية، غريب عنها، إذ لم يكن له وجود في بداية الخليقة لأن كل ما عمله الله إنما " **هُوَ حَسَنٌ جِدّاً** " (تك١: ٣١)، فالشر ثمرة السقوط، عندما عاش الإنسان لذاته، وعصى الوصية الإلهية، ولكننا بهدوء نتساءل: **من الذى سقط وتدنس، وصارت طبيعته ميّالة الشر الخبيثة؟!**

فإن حاولت أن أُبرر فشلى وسقوطى بأن أقول: إن الشر هو أمر واقع لابد للإنسان من أن يحيا فى مستنقعه!

فسوف أسمع صوتاً فى أعماقى يصيح بى قائلاً: " **لاَ بُدَّ أَنْ تَأْتِيَ الْعَثَرَاتُ، وَلَكِنْ وَيْلٌ لِذلِكَ الإِنْسَانِ الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعَثْرَةُ** " (مت١٨: ٧).

وإذا زعمت أن أخطائى وليدة ظروف خارجة عنـــى، وهى أقوى منى! سأسمع هاتفاً من ضميرى يقول لى: إن الشر موجود لمن يرى الشر ويريده فقط ، وإلا لمـــاذا يسقط إنسان ولا يســقط آخر، رغم تشابه الظروف؟! وإن كان الإنسان غير مسئول عن خطاياه التى يقترفها، فكيف يكون مسئولاً عن فضائله؟!

حقاً إن الشر كالمارد له سلطان مرعب، كما أننا لا ننكر بريق الشهوة ولمعان اللذة، وكيف أن الخطية تتحايل علينا بمكر وتتفنن فى خديعتنا، كما تحايلت دليلة الساقطة على شمشون الجبار وأسقطته ؟! ولكن ألم يقل معلمنا بولس الرسول: " **أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي** " (فى٤:١٣)، فإرادتك الحرة التى دفعتك إلى السقوط، هى نفس الإرادة التى لها قدرة فائقة، أن تنتشلك من بئر السقوط ، ويبقى السؤال: **ماذا تريد ؟**

إن كنت تريد أن تتحرر، فيجب أن تلتقـــى إرادتـــك البشرية مع النعمة الإلهية، فالشر يمكن وصـــفه بالـــشئ الضعيف القـــوى، لأنه مرتبط بالإرادة الحرة، التـــى إذا

أساء أحد استخدامها أعطت نتائج مفزعة، بل مدمرة! فإذا كانت الإرادة قوية، ونعمة الله تعمل فينا، فإن الشر لايكون له سلطان علينا، أما عندما تضعف الإرادة وتستسلم فـي خنوع لرغباتها، ففى الحال يظهر الشر بوجهه القبيح، كما لو كان وحشاً يريد أن يلتهمنا!

وقد يتعجب البعض ونحن نصف الشر بالـضعف !! ولكن ألا يُشبه الشر الظلام، الذى ما أن يُشرق شمس البر بشعاع حبه فسرعان ما يتلاشى، والسبب: **إن طبيعة الخير أقوى من عادة الشر.**

إذن معركة الإنسان مع الشر، ليست فردية بل هى متعددة الأطراف، فأنت بقوتك وحدك لاتستطيع أن تنتصر لأن السيد المسيح قد قال: " **الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هَذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئاً** " (يو ١٥: ٥).

أما إذا استجاب الإنسان للشر، فمجـرد أن يخطـئ، فسرعان ما يجد نفسه محاطاً بجمهرة من الخطايا، تقيـده وتحد من حركته! ولهذا فإن أقل ثغرة يسمح بها الضمير لخطية واحدة، فسرعان ما يتيح لخطايا أُخرى كثيـرة، أن تنفذ منها إلى أعماق النفس، وذلك لكى تأخذ بيد رفيقتهم! **وكأن الخطايا أيضاً تُحب حياة الجماعة!!** فإذا ثارت شهوة

ما فى جسم الإنسان، فسرعان ما تفقد الأفكار استقرارها، فتجول بغير ضابط هنا وهناك، والإنسان لا يتجاوز في تصرفاته وأقواله كل حد! أما إذا أخطأت النفس بسقوطها فى الكبرياء أو الحسد أو الكراهية... فإن فوضى تحدث فى أجهزتنا العضوية، وتصدر عنا إشارات ونظرات هنا وهناك.. كردات فعل طبيعية *

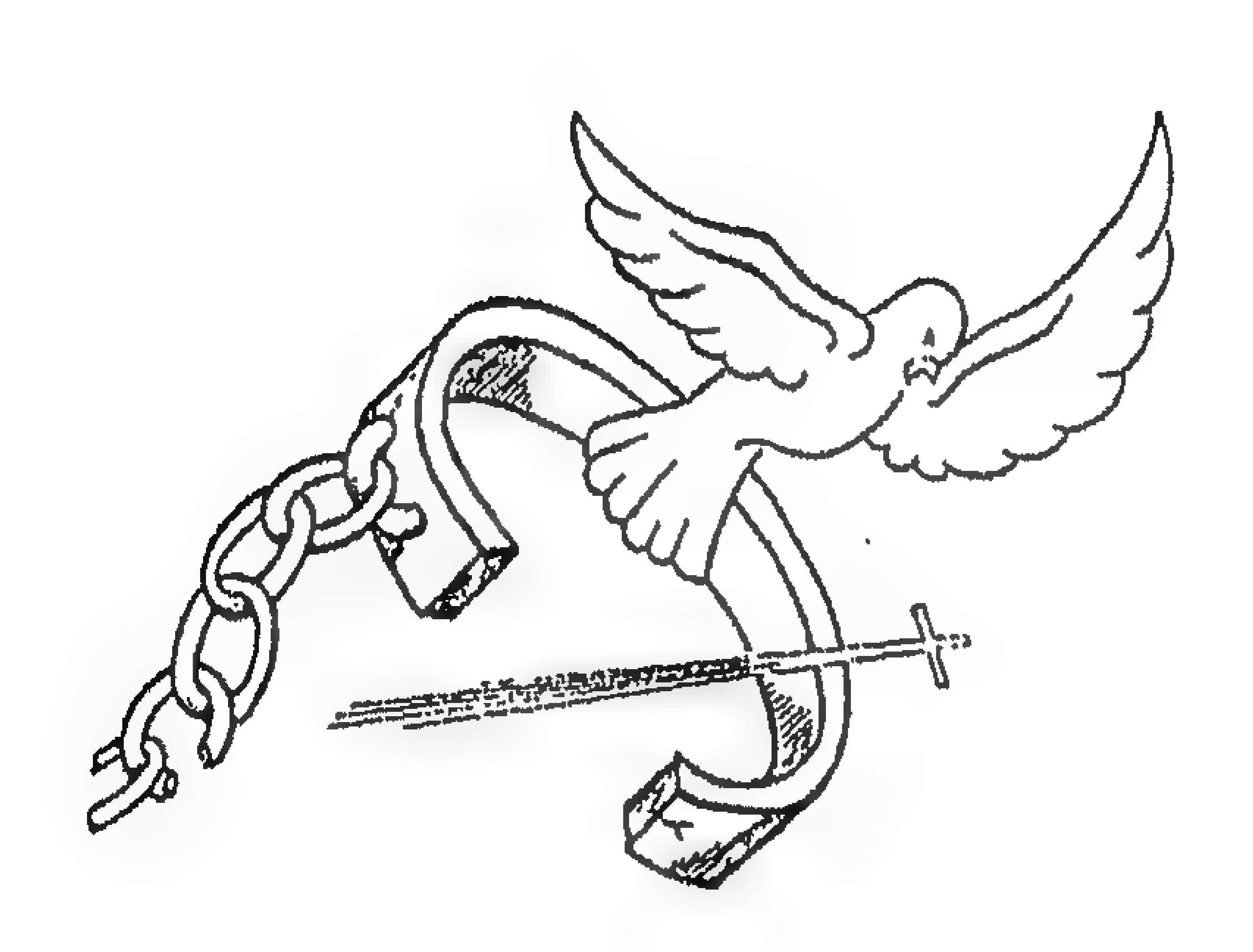
وقد يُدمن إنسان المخدرات فيجرّه الإدمان إلى السقوط فى الزنى، الذى يجر وراءه الخيانة والغدر، وأحياناً القتل والسرقة.. التى تقوده إلى الكذب.. فالخطايا سلسلة متشابكة، كل واحدة تقود إلى أُخرى، ويمكن تشبيه ذلك بإنسان سقط على سلم، كل درجة تسلّمه للأُخرى، حتى يجد نفسه فى القاع! ولهذا يقول القديس مرقس الناسك:

" يستحيل على الإنسان أن يسقط فى الزنا ما لم يسقط أولاً في شراهة الأكل، أو أن يُثار بالغضب ما لم يكن طمّاعاً، يُقاتل من أجل الطعام أو المال أو الشهرة، ويستحيل عليه أن يهرب من الكبرياء، ما لم يكن قد استأصل من قلبه محبة المال.."

---

* آلن بيز " لغة الجسد " كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال إيماءاتهم، تعريب سمير شيخانى، إصدار دار الأفاق (بيروت).

نعترف بأن الشـــر عندما يتسرب إلى أعماق الإٍنسان، ويستحوذ على فكره، ففى الحال يحدث فيه ضـــربا مـــن الانقسام أو التمزّق الداخلى.. فتتحول العلاقات بِين الناس إلى صراع حاد، فيوجه الإنسان إلى رفيقه سهاما مسمومة وطعنات دامية، كما أن نيران الغيـــرة والحقـــد والحـــسد والكراهية.. تكون فى اشتعال على الدوام.



الفصل الرابع

الشر والأشرار من منظور نفسى

الواقع أن النفس البشرية تحيا **متذبذبة** بين هذين القطبين: **الخير والشر**، فهى حينما تسعى نحو الخير، تحشد كل طاقتها للبناء، وعندما تستسلم للشر فإن كل طاقتها تميل إلى الهدم.. ولهذا يرى عالم النفس الشهير **فرويد**: إن النفس البشرية هى مسرح كبير، لصراع عنيف بين قوتين وهما: **قوة البناء وقوة الهدم**، أو بين الرغبة فى الانتاج والنزوع نحو التحطيم! *

والحق إن السلوك البشرى عندما ينطلق بلا مرجعية دينية، فهناك التدهور فى كل المجالات، وهذا ما نشهده اليوم بكل وضوح: فحالات الطلاق فى تزايد، ومعدلات الإجهاض قد ارتفعت، والعنف تتنامى بشدة، وتعاطى المخدرات فى نمو، ونشأ الإرهاب كما نشهد.. حتى وإن تقدم العلم فالأخلاقيات لن تتغير وربما تزداد!! لأن التقدم

---

* الدكتور زكريا إبراهيم - المشكلة الخُلقية، ص ٢٠٠.

العلمى يستطيع أن ينظم العلاقات ووسائل الاتصالات.. إلا أنه يعجز عن تنظيم الأُسرة روحياً وأخلاقياً.. فما قيمة علم يجعل الناس يحترمون العقل، في وقت نجد فيه استهتار بالقيم الروحية؟! وهل ننكر أن العلم الخالى من النبض الروحى، كثيراً ما يدفع الإنسان إلى الكبرياء؟!

مجرد رأى

هناك من يرى: إن الشر هو سعى نحو الخير، ولكنه سعى يضل الطريق، فالإنسان من خلال الشرور التى يرتكبها كالسرقة أو الخيانة.. يسعى نحو قيم حسنة كالفرح أو الاستقرار.. ولو سألت سارقاً لماذا تسرق؟ لربما قال: لأنى أجد سعادتى فى المال فهو يحقق رغباتى، ويّقرّب الناس منى.. وهكذا القاتل كثيراً ما يعتقد أن القتل يُهدّئ نفسه الثائرة..!

هذا الفكر الخاطئ، هو فى الحقيقة تزييف للخير وانحراف فى الوصول إليه! والدليل على خطأه هو: إن الإنسان كلما يسقط تتدهور حياته، وتتعمق جذور الشعور بالذنب فى داخله.. وعندما ينصرف عن الشر، ويجاهد فى عمل الخير، يشعر بأنه قد اهتدى إلى ذاته الحقيقية، التى كانت محتجبة عنه، وحقق اكتمال كيانه، وأنه وجد

ضالته التى كان ينشدها عبثاً، إذ كان يفتش عنها فى غير موضعها !!

الخاطئ والشرير

فى طريق الحياة يسقط إثنان: واحد **يقوم** نادماً، وآخر **يصر** على أفعاله الشريرة ، رغم تأكده من منهجه الفاشل وسلوكه المنحرف، الذى ينطوى على خيانة الحياة، وتحطيم للمبادئ الروحية والقيم الأخلاقية.. فتتحول الحياة فى نظره، إلى مجرد اجترار مجموعة من اللذات، فيظل يشرب الإثم كالماء، إلى أن ينتهى وجوده التافه، الذى لم يكن سوى فراغ محض! مثل هذا يُسمى **شريراً**، أما الأول **فخاطئاً**.

وإليك بعض الأمثلة:

سقط داود **النبى** فى الخطية، وذلك عندما زنى مع بثشبع إمرأة أوريّا الحثى، ولكى يُخفى جريمته البشعة، تسبّب فى قتل زوجها البرئ، أحد جنوده الأوفياء الذين يدافعون عنه وعن المملكة.. (٢صم١١)، ولكن ما أن واجهه ناثان النبى بجرمه، فسرعان ما ندم وأعلن فى الحال توبته إذ قال: " **قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى الرَّبِّ** "، فما كان من ناثان النبى، سوى إعلان محبة الله، ليس لداود النبى فقط،

بل ولكل الخطاة فى شخص داود، إذ قال له: " **الرَّبُّ أَيْضاً قَدْ نَقَلَ عَنْكَ خَطِيَّتَكَ لاَ تَمُوتُ** " (٢صم١٢: ١٣).

أما **شاول الملك** فقد أحب داود، وبعدما قتل جليات الجبار الذى كان يعيّر بنى إسرائيل، زوّجه ميكال ابنته، ولكن عندما مدحت النسوة داود أكثر منه، اشتعلت نيران الغيرة فى قلبه، وأخذ كالمجنون يطارد داود فى كل مكان محاولاً قتله، رغم أنه يعلم أن الله قد أقامه ملكاً عوضاً عنه! وهكذا أصر شاول الملك على عناده وكبريائه، وظل يقاوم الله فى شخص داود، إلى أن انتهت حياته بالموت، يقول الكتاب:

" وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ عَلَى شَاوُلَ فَأَصَابَهُ الرُّمَاةُ رِجَالُ الْقِسِيِّ فَانْجَرَحَ جِدّاً مِنَ الرُّمَاةِ فَقَالَ شَاوُلُ لِحَامِلِ سِلاَحِهِ اسْتَلَّ سَيْفَكَ وَاطْعَنِّي بِهِ لِئَلاَّ يَأْتِيَ هَؤُلاَءِ الْغُلْفُ وَيَطْعَنُونِي وَيُقَبِّحُونِي، فَلَمْ يَشَأْ حَامِلُ سِلاَحِهِ لأَنَّهُ خَافَ جِدّاً، فَأَخَذَ شَاوُلُ السَّيْفَ وَسَقَطَ عَلَيْهِ" (١صم٣١: ٥).

ويُعد شاول هو أول شخص يذكر الكتاب المقدس: إنه قد **مات منتحراً!** بعد موته ذكر **أخيتوفل** (٢صم١٧: ٢٣)، **وزمرى** (١مل١٦: ١٨)، **ويهوذا** (مت٢٧: ٥).

وهكذا **بطرس الرسول** يُدعى خاطئاً، رغم أن إنكـــاره للسيد المسيح يُعد من الخطايا البشعة، لأنه مـــا أن ســـقط

فسرعان ما نهض، واستطاع بدموعه النقية أن يغسل صدأ الخطية (مت٢٦: ٧٥).

أما **يهوذا الإسخريوطى**، فرغم تحذيرات المسيح لــه، إلا أنه أصر على خيانته، وارتكب أبشع جريمة عرفتهــا البشرية، وفى النهاية ماذا جنى ؟ لم يجــنِ ســوى **حبــل المشنقة** الذى التف حول عنقه لكى يقتله (مــت٢٧: ٥)!! لتنتهى حياته الصغيرة، الفاشلة، التى تحركت كالــضباب فوق أرض العذاب المستعبدة!

ويعقوب أبو الآباء قد أخطأ، واغتصب البكورية مــن أخيه الأكبر عيسو، ولكن من نسله قد جاء السيد المــسيح (مت١:٢)! فى حين أن أخيه الشرير **عيسو** " **لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرِثَ الْبَرَكَةَ رُفِضَ، إِذْ لَمْ يَجِدْ لِلتَّوْبَةِ مَكَاناً، مَعَ أَنَّهُ طَلَبَهَا بِدُمُوعٍ**" (عب١٢: ١٧) لأنه كان شريراً، وكان الله يعرف سوء نيته وسواد قلبه..

وبالمثل يمكن أن نضع **المجدفين على الروح القدس**، فى قائمة الأشرار، الذين لا غفران لخطاياهم ولا خلاص لهم، كما أوضح لنا رب المجد يسوع بقوله: " كُلُّ خَطِيَّةٍ وَتَجْدِيفٍ يُغْفَرُ لِلنَّاسِ وَأَمَّا التَّجْدِيفُ عَلَى الرُّوحِ فَلَنْ يُغْفَرَ لِلنَّاسِ، وَمَنْ قَالَ كَلِمَةً عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ يُغْفَرُ لَهُ وَأَمَّا مَنْ قَالَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فَلَنْ يُغْفَرَ لَهُ لاَ فِي هَذَا الْعَالَمِ وَلاَ

فِي الآتِي " (مت١٢: ٣١، ٣٢) لأنه كيف يخلص من يقاوم الله ويرفض عمل الروح القدس فى حياته؟!

هل يمكن للشيطان أن يخلص ؟! فعلى الرغم من اعترافه بألوهية السيد المسيح علناً: " آهِ! **مَالَنَا وَلَكَ يَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ! أَتَيْتَ لِتُهْلِكَنَا! أَنَا أَعْرِفُكَ مَنْ أَنْتَ قُدُّوسُ اللَّهِ!** " (مر١: ٢٤) " **مَا لِي وَلَكَ يَا يَسُوعُ ابْنَ اللَّهِ الْعَلِيِّ! أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ أَنْ لاَ تُعَذِّبَنِي!** " (مر٥: ٧) إلاّ أنه لم يزل يقاوم الله وكل من يحيا معه!

من سمات الأشرار الكراهية

وتُعد الكراهية من أبرز سمات الأشرار، **فما هى الكراهية؟** وما هى مظاهرها؟ إنها **القطب المضاد للمحبة،** وهى تهدف إلى إشباع الميول العدوانية، والرغبات السلبية.. داخل الشرير، أى تدمير الآخر أو القضاء عليه أو تشويه سمعته..!

وعلى الرغم من أن الشخص الشرير، الذى تشبّعت مسامه بالكراهية، يريد إبادة من يكرهه، إلاّ أنه مع ذلك يعمل على التمسك بضحيته، حتى يكون لديه شيىء يُبغضه، لا تتعجبوا! **فالجلاّد يريد وجود ضحيته وعدم وجودها فى وقت واحد!** ولهذا يرى علماء النفس: إن

قسوة الأشرار وكراهيتهم لا تنحصر فقط فى القضاء على الخصم، لأن موته لا يُتيح للشرير فرصة الانتقـام مـرة أُخرى، بل هى تتحصر فى العمل على تعذيبه !! أمـا إذا مات الخصم فإن الشرير يسعى إلى الانتقام منـه ولكـن بطريقة أُخرى، وذلك بتشويه صورته، أو التقليل من شأن مواهبه وأعماله، أو مهاجمة أقاربه أو أولاده..

وتظهر الكراهية بكل وضوح، عندما يرفض الشرير أن **يتأمل فى حياة الآخرين**، لكى يرى الأنوار التى تكمن فى أعماقهم، فمن المعروف أن الكراهية تجعل صاحبها، يتوقف عند المظاهر السطحية أو التفاصيل التافهة المخزية وغير المجدية.. لأنها فى جوهرها مجموعة من **القراءات السطحية** لسلوك الآخر، ولو تعمّق كل إنسان فـى فهـم الآخر، وأحسن فهم الداخل، لَمَا كرهه، لأنه سوف يكتشف فضائله، وسوف يجد نفسها أمام شخصية جديرة بالحـب، والتقدير، والإعجاب..!

وعلى حين أن الشرير يعجز عن فهم نفـسية أخيـه، لأنه لا يدرك قيمته الحقيقية، ولا يريد أن يستفيد من كـل ما هو إيجابى وصالح فيه.. نجد أن الشخص الذى امـتلأ قلبه بالحب، يفهم الآخرين ويغمض عينيه عن مـساوئهم، ولا يتوقف عند عيوبهم الظاهرية، لأنه ينظر إلى أعماقهم

حيث تسكن فضائل الروح ! إذن فالمحبة الحقيقية تمثل نوعاً من **التعمق**، فى حين أن الكراهية تمثل **الحكم السطحى**، السريع.. وهذا ليس بغريب لأن الكراهية **صماء** لا تريد أن تسمع شيئاً حسناً! وعمياء لا ترى سوى الشر! وخرساء لا تتكلم إلا عن كل ما هو تافه وحقير!

وقد يخطئ من يظن أن الكراهية، وإن كانت ظاهرة سلبية، إلاّ أنها **تنطوى على محبة ضمنية**، مثلما يبغض المرء إنساناً بشرته سوداء، ويُحب آخر أبيض البشرة! فالحقيقة إذا كان إنسان يبغض السود، فذلك لأنه عاجز عن محبة الإنسان بوجه عام، وليست محبته للبيض إلا نوعاً من الرياء، أو النفعية، أو التعصب العنصرى.. فمجرد موقف بسيط يجعله ينقلب ضدهم، ويسعى إلى الانتقام منهم! وحقيقة الأمر: إن **الكراهية عقيمة**، ولهذا لا يمكن للشرير، الذى يتسم بالكراهية أن يلد المحبة، إذن لا يمكن أن نقيم فوق دعامة الكراهية الهشة أى بناء متين! هكذا علمنا الله: إن المحبة الصادقة كالشمس يجب أن يستضيء بنورها، ويستدفئ بحرارتها الجميع*

---

* عالج الأب جان باول اليسوعى بعض مشاكل الحب والعلاقات الإنسانية فى عدة كتب ألا وهى: سر البقاء فى الحب ، حب بلا شروط، لماذا أخشى أن أقول لك من أنا ؟ لماذا أخشى أن أحب ؟

الميل للهدم لا البناء

إن الكراهية أشبه بحجر، يقف كحاجز كبير فى طريق الفضيلة، لأنها تُعطّل القوى البنّاءة فى الإنسان الشرير، وتجعله يميل إلى الهدم، وتحطيم غيره من البشر الذين خلقوا على صورة الله ومثاله!!

وهذه النزعة الهدّامة ليست فى الحقيقة، سوى أثراً من آثار **الحياة المُعطّلة**، أعنى تلك الحياة التى تجعل الإنسان عاجزاً عن تحقيق ذاته فى المجتمع، أو إشباع رغباته فى الحياة.

وليس أسهل على الإنسان من الاستسلام لدوافعه الهدّامة، وإطلاق العنان لميوله الشهوانية الشريرة وطاقته العدوانية، ولكن من المؤكد أن كل اعتداء يقوم به الفرد، على القوى البناءة لدى الآخرين، يمثل **انتحاراً نفسانياً**، يقضى على صاحبه بالحزن والشقاء والألم..! إنه عدوان ذاتى يمس حياتنا! لأننا نحيا فى مجتمع واحد كل شخص فيه يُعلّم الآخرين ويتعلم منهم، يؤثر فيهم ويتأثر بهم، سواء كان ذلك بالأعمال، أو الأقوال، أو السلوكيات، أو المعتقدات..

أما الشرير فمهما حقق غايته العدوانية، أو دوافعه الهدّامة، أو ميوله الشهوانية، فإنه سيظل دوماً ضحية للألم

النفسى، كنتيجة طبيعية لوخزات الـضمير، لأن سـلوكه ينطوى على " **خيانة الله والناس والحياة** " !!

ولكننا نؤكد أن الإنسان لا يولد شريراً بالمعنى الدقيق للكلمة، يولد الإنسان، كل إنسان، ولديه ميل شديد، ورغبة طاغية للسقوط فى حياة الخطية، والاسـتهانة بالفـضائل الروحية، أو القيم الأخلاقية، ولكن الإنسان لايصبح شريراً إلاّ إذا تعطلّت قواه الروحية وابتعد عن الله كلية.

علاقة الشر بالمرض النفسى

ينشأ المرض النفسى نتيجة **صراع شديد**، يحدث بـين رغبتين متضادتين، فالإنسان يريد أن يحقق شيئاً ما يريده، لكن الظروف الخارجية تعوق تحقيقه.

هذا وقد أثبتت لنا الحياة أن الإنسان الشرير، لا يهـدأ إلاّ حين يمارس شروره، إنه أشبه بالسجين الذى يحطـم سلاسله ليخرج من قيوده، فإذا ما حقق رغباته فإنه يهـدأ فترة، وإن عجز عن تحقيقها تثور عليه وتقلقـه! أمـا إذا اشتدت الضغوط، فإنها لا تؤدى إلى الإصابة بـالأمراض النفسية أو الجسدية فقط، بل قد تؤدى بالإنسان إلى الموت!

فى حين أن الإيمان يجعل الإنسان فى طمأنينة، بمـا يفرزه المخ من مهدئات طبيعية.. فيشعر الإنسان بالراحة،

ويمكن القول بأن الكلمة الحسنة، والحب الصادق، والعمل الصالح، والصلاة.. ترفع من نسب المواد المهدئة *

ولو نظرنا إلى سلوك الشرير وتأملنا تصرفاته.. لرأينا أنه يحيا فى خوف غير طبيعى، ولهذا يحاول الهروب من نفسه، ألم يقل قايين بعدما قتل أخاه هابيل: " **تَائِهاً وَهَارِباً فِي الأَرْضِ فَيَكُونُ كُلُّ مَنْ وَجَدَنِي يَقْتُلُنِي**" (تك٤: ١٤)، فهل هذا هو الخوف المرضى، الذى يستولى على فكر الإنسان عندما يخطئ ؟

أعتقد هذا، لأن سليمان الحكيم يقول: " **اَلشِّرِّيرُ يَهْرُبُ وَلاَ طَارِدَ** " (أم٢٨: ١)! فالأرض لم يكن فيها أحد يمكن أن يقتل قايين، كما أن الله قد طمأنه بقوله: " **كُلُّ مَنْ قَتَلَ قَايِينَ فَسَبْعَةَ أَضْعَافٍ يُنْتَقَمُ مِنْهُ وَجَعَلَ الرَّبُّ لِقَايِينَ عَلاَمَةً لِكَيْ لاَ يَقْتُلَهُ كُلُّ مَنْ وَجَدَهُ** " (تك٤: ١٥).

ولأن الشرير يعجز عن الاختلاء بنفسه، لأنه يعرف حقيقته، فهو لذلك يلجأ إلى أشرار مثله، لتمضية أوقاته معهم، والعمل على تناسى ما لديه من ذكريات أليمة! لكنه لا يثق فى إنسان، حتى ابنه أو زوجته.. والسبب: هو

---

* حديث للعالم الكبير الدكتورأحمد عكاشة، رئيس الجمعية العالمية للطب النفسى، نُشر بمجلة الشباب ـ أغسطس٢٠٠٠، ص٣٤.

شعوره بأن الجميع سوف يغدرون به كما غدر هو بهم، ولهذا تجده قلقاً، خائفاً..

حقاً إن الشرير يعرف ما هى الفضيلة، ولكن نظـــراً لعجزه عن ضبط نفسه، والتحكم فى شهواته الثائرة، فإنـــه يندفع نحو عادات سيئة، من شأنها أن تعمّق آلامه وتجعله ضحية للتمزق الداخلى، كثمرة طبيعية لتلك الحياة المبتذلة التي يحياها، إذ يكون فى داخله جانب يفرح لأنـــه حقــق شهوته!! وآخر يتألم لشعوره بالذنب وتأنيب الضمير..!!

وهكذا يحيا الشرير فى فراغ روحى عميق، وعزلـــة نفسية مريرة، ويتعامل مع الناس كمـــا لـــو كـــانوا **آلات منتجة!** لا قيمة لها سوى تحقيق رغباته، إلى أن يصل فى النهاية، لأخطر مرض يمكن أن يُصيب النفس ألا وهـــو: " **عبادة الذات** " ! فيتنقل من شخص لآخر حسبما تقتضى المصلحة، لأن العلاقات أصبحت فى نظره، وسيلة لتحقيق رغباته بكافة الطرق حتى وإن كانت خاطئة!!

وليس أصعب على الإنسان، مـــن أن **يجعـــل نفـــسه محور كل شئ**، أو **يدور حول نفـــسه مـــستعملاً النـــاس كـــأدوات**، دون أن يقيم وزناً للقيم أو المبادئ أو المشاعر! فهل إنسان مثل هذا يُعد سوياً؟! قد نكون على صواب إن قلنا: إن كل من يحيا على حساب الآخرين، لـــن تـــستقر

روحه أو تهدأ نفسه! وهو يستهلك ذاته بسرعة زائدة، لأنه يحيا على حساب نفسه قبل أن يحيا على حساب الآخرين!
مثال هؤلاء أشبه بأُناس يسبحون فى الهواء، وهم يحملون مظلة، ولكنهم للأسف الشديد لايفتحونها! ترى ماذا ستكون حياتهم؟! أعتقد أنها ستكون بلا هدوء أو استقرار.. لأنهم يفتقرون إلى ثمار الروح القدس، أعنى المحبة والفرح والسلام.. (غل٢٣،٥:٢٢)، وإن كان يدّعون السعادة أو يتوهمونها، إلا أنهم لا يحسون إلا بمشاكلهم، ولا يفكرون إلا فى ذواتهم، ولا يُحبون سوى أنفسهم، ونهايتهم تشهد بأن حياتهم فاشلة!

التلذذ بألم الآخرين

ولا يكتفى الشرير بإيذاء الآخرين أو من يقعون تحت سلطانه فقط، بل هو يجد لذة إذا رأى غيره يتألمون، فهذا يحقق له قدراً كبيراً من النشوة! وكأن لسان حاله يقول: كلما زاد شقاؤك تضاعفت لذتى! فهل هذا هو ما يُعرف فى علم النفس بالنزعة السادية ؟ *

---

* ظهر هذا المصطلح كتعبير عن النشوة، التى يحصل عليها الشخص السادى، عندما يوقع الألم على الزوجة أو يضربها قبل لقائه الجسدى معها، ثم اتسع مفهوم السادية ليشمل نواحى أخرى.

إن الشخص السادى هو من **يسعى إلى السيطرة على الآخرين** بأية وسيلة، فهو يحتاج نفسياً إلى علاقة يكـــون فيها الأقوى، والمسيطر، والآمر، والطرف الآخــر هــو الضعيف، والخاضع، والزليل.. وهذا لا يتحقق إلا بالتهديد المستمر، والاعتداء على الآخرين وإفشاء أسرارهم.. وهو لذلك يعامل بقسوة متناهية كل من يقعون تحت ســلطانه، ويتحين الفرصة لإهانتهم والتقليل من شأنهم..*

وينتشى السادى برؤية الدماء وهى تسيل، سواء مــن طائر يُذبح، أو وحش يُقتل..! كما أنه يجد متعة فى الإيقاع بالناس والتفرقة بينهم، ويتلذذ بتقييد حــريتهم، والــتحكم المطلق فى تحركاتهم، وينتشى بالأكثر وهو يراهم يتألمون ويبكون لحرمانهم من حقوقهم، وكم يكون سروره عنــدما يسمع بمعاناة الناس سواء من ظلم أو مجاعة..!

وإذا تولى الشخص السادى سلطة، فهو يطلــب مــن مرؤسيه أن يطيعوه طاعة عمياء ووسيلته فى هذا تهديدهم المستمر، كما أنه يرفض أية معارضة، ويستشيط غــضباً إلى حد العنف للإطاحة بمن يختلف معهم..

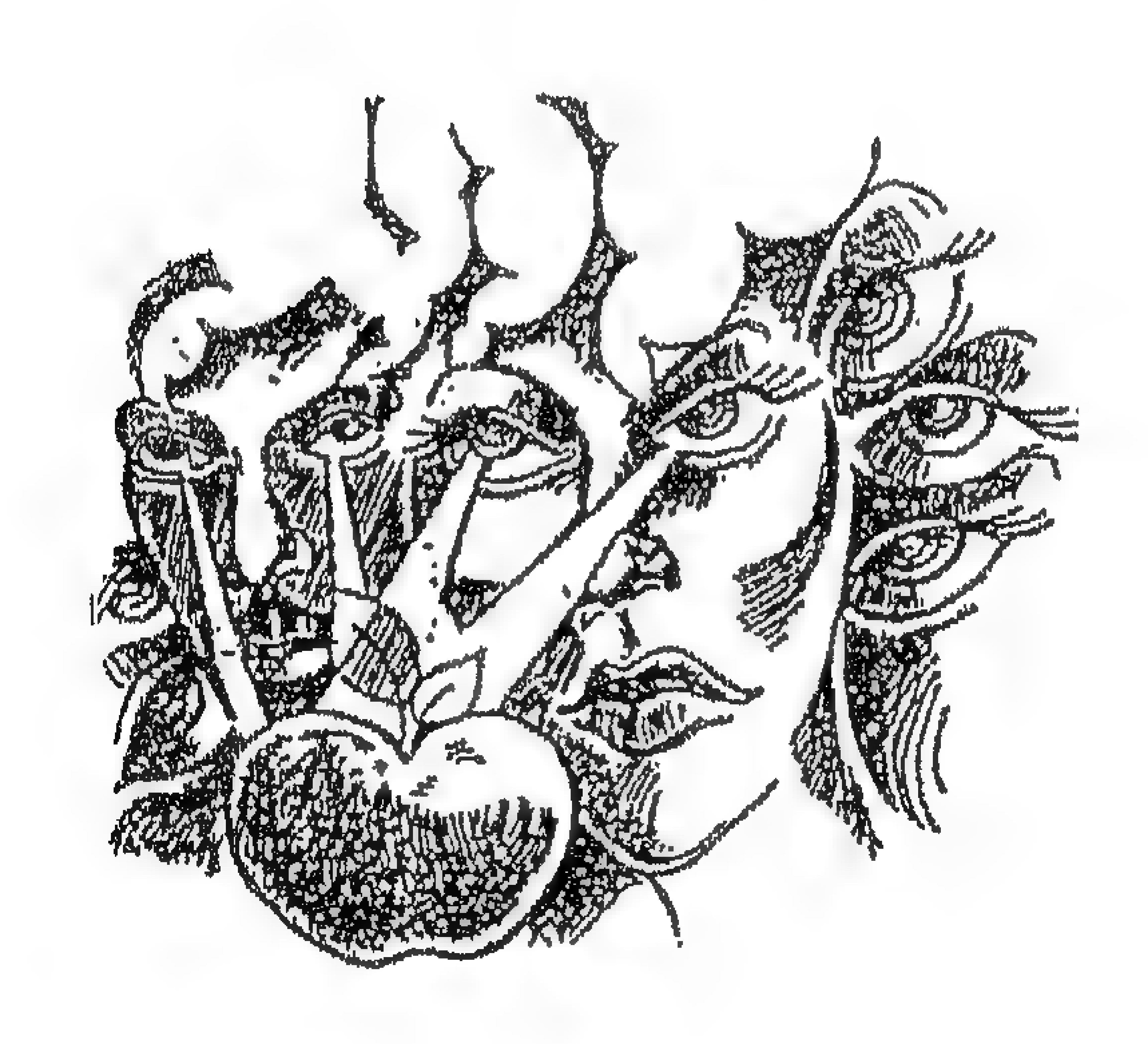
---

* د/ إمام عبد الفتاح إمام - الطاغية، ص ٢٧٨- ٢٩٤.
- راجع د/ عادل صادق - مشكلات نفسية، ج١، ج٢.

إن مبدأ السادى يتلخص فى الآتى:

- أضربك قبل أن تضربنى.
- أجرحك قبل أن تجرحننى.
- أُقيــدك قبل أن تقيــد نى.

وهو بهذا يُعد مصدر تعب وخوف للآخــرين الــذين يتسبب فى أذيتهم، أو إهانتهم، أو تجريحهم.. على الــرغم من أنه يحمل داخله ضعفاً وخوفاً وفشلاً.. **ولكــن مــاذا نقول لو تولى مثل هذا المريض سلطة؟!**



الفصل الخامس

الإنسان والشيطان والشر

قلنا إن الشيطان هو مخترع الشر، وهو الذى حارب الإنسان وأسقطه وإلى الآن " **كَأَسَدٍ زَائِرٍ يَجُولُ مُلْتَمِساً مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ**" (١بط ٥: ٨)، فالشيطانُ معروفٌ **بقوته الهائلة** لأنهَ كان أحد الملائكة "**المقتدرين قوة**" (مز١٠٣: ٢٠) ولم يفقده السقوط سوى طهارته أما طبيعته القوية فلم يفقدها!

ويُعتبر **الخداع** هو المبدأ الأساسى، الذى تنطوى عليه كل حيله الخبيثة، فهو كالحيّة الرقطاء تتلون فى أشعة الشمس! ويعد **الإلحاح** إحدى سماته، فهو يعرض الأفكار والصور مرات، حتى وإن رفضها البشر، ألم يحارب راهباً بخطية واحدة ٥٠ عاماً! حتى فى حروبه مع المسيح " **فارقه إلى حين** " (لو٤: ١٣)!

ونحن لا ننكر أن الشيطان هو الفساد الأكبر والضلال الأعظم، والشر المحض.. فمنذ خلقة الإنسان وهو يحارب بكل جهده، عسى أن يُلقى البشرية كلها تحت حكم الموت، وقد استطاع بمكره أن يُسقط أنبياءً ورسلاً وقديسين.. فهو

لا يقف ساكتاً أمام إنسان يحيا مع الله، بل يحاربه ويقاومه بقوة ويسمى هذا " **حسد الشيطان** " *

ولكن هناك شواهد كثيرة تؤكد لنا، أن **الإنسان في مواقف كثيرة يكون أخطر من الشيطان!** أليس الإنسان هو الذى ينشر الانقسام والخصام بين الناس، ويفضّل الحرب على السلام، ويتفنن في ابتداع شتى وسائل التعذيب والإرهاب.. فالإنسان بعد السقوط، قد صار يحمل الثنائية في أعماقه: الخير والشر، النور والظلمة.. وهذا يعنى: إنه يملك قوة هائلة لو سخرها فى الشر، لا ستطاع أن يدمّر الكون كله!

أقول هذا: لأن كثيرين يُحمّلون أعمالهم الشريرة على شماعة الشيطان! وهى حيلة بشرية سلبية، يلجأ إليها الإنسان ليبرر فساده ورغبته فى الانحراف، أليس ابن آدم هو ربيب الشر الذى لا يكف عن إشاعة الفوضى، ويغيّر القيم، ويتحايل على القوانين؟!

ولنفرض أن الشيطان هو الذى يبث سمومه فى الوجود ويحرك الإنسان! فهل ننكر أن **بضاعة الشر لا تجد لها رواجاً فى العالم إلا بين بنى البشر؟!** إنهم

---

* راجع باستفاضة " حروب الشياطين " ـ البابا شنوده الثالث.

يتهافتون على سلعة الشيطان، كما لو كانت بضاعتهم، وقد ردت إليهم!!



وإليكم قصة طريفة، تؤكد قدرة الإنسان على ابتداع وسائل، لا يعرفها الشيطان !! أما القصة فتقول:

اشتهى راهب أن يأكل بيضاً فى الصوم ولكن القوانين الكنسية تمنع إلا المريض، فماذا فعل ؟ **أحضر بيضة ووضعها فى كوب به ماء، ومن تحته أشعل شمعة، لكى تسلق البضة على مهلٍ، دون أن يسمع أحداً صوتاً أو يشم رائحة!!**

ولكن كما يقول رب المجد يسوع: " **لَيْسَ مَكْتُومٌ لَنْ يُسْتَعْلَنَ وَلاَ خَفِيٌّ لَنْ يُعْرَفَ** " (مت١٠:٢٦)، فقد اكتشف الأمر ووصل إلى الأب المسئول، فأحضر الراهب وسأله عن سبب كسر صومه فى أقدس أيام السنة، ولما أراد أن يعرف مصدرهذه الحيلة النادرة أنكر مسئوليته، وادّعى أن الشيطان هو الذى أغراه وأوحى إليه بها! فظهر الشيطان للأب المسئول وأعلن له:

إنه لم يكن يعرف هذه الطريقة من قبل فقد تعلّمها من هذا الراهب !!

فهل لنا أن نقول: إن الشيطان فى مواقف كثيرة يتتلمذ علي أيدى البشر ويتعلم منهم! ولِمَ لا إن كان " **تَصَوُّرَ قَلْبِ الإِنسَانِ شِرِّيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ** " (تك٨: ٢١) والشر أقرب إليه من حبل الوريد!!

إن الشيطان قد يقرع على باب قلبك مدى الحياة، فهو لا يمل، ولكن ثق أنه لن يقوى من تلقاء نفسه على فتح هذا الباب، إن لم تفتح له بإرادتك، فهو لن يرتكب جريمة هتك حرمة مسكنك، إلا إذا أذنت له بالدخول!

إذن دعه يقرع، واحترس من أن تفتح له باب قلبك أو فكرك.. وذلك لكى لا ترى منظره، لأنه كما قال معلمنا بولس الرسول: " **وَلاَ عَجَبَ، لأَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ!** " (٢كو١١: ١٤) أما أنت فهل لك القدرة أن ترى مثل هذا الجمال الباهر، دون أن تتأثر به أو تنجذب نحوه ؟! أعتقد أن لحظة واحده تتأمل فيها منظر إبليس هى كافية لهلاكك!

نعترف بأن الشيطان له قدرات فائقة لا يُحصى عددها، وهو خبير بفنون حرب البشر ووسائل إسقاطهم.. ولكنه أمام الله وإرادة الإنسان، جاهل وضعيف ولا يقوى على عمل شئ نرفضه، ولهذا يجب ألا نبرر سقوطنا بالحديث عن قوة الشيطان وإغراءاته..

وإليك الدليل :

أتت الخطية إلى **يوسف الصديق**، فى صورة إمرأة هى زوجة فوطيفار، لقد توسلت إليه لكى يسقط معها! فماذا فعل؟ رفض بشدة وقال عبارته الخالدة: " **كَيْفَ أَصْنَعُ هَذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى اللهِ ؟** " (تك٣٩: ٩) ثم ترك ثوبه فى يدها وهرب! وهو فى الحقيقة قد ترك كل ما لمسته المرأة ودنسته بيدها!!

والأنبا **صموئيل** المعترف ربطوا قدمه مع قدم جارية، وذلك لكى تسقطه فى الخطية وتنجب منه أولاداً، وظلا هكذا مدة طويلة، ولكنها عجزت عن إسقاطه، لأنه رفض أن يتدنس!

أما الشهيد العظيم **مار جرجس** فقد أدخلوا إليه ساحرة، زانية، لكى تغريه وتسقطه، وبالتالى تثنيه عن إيمانه، فخرجت من عنده مؤمنة، تائبة!

وهناك **شاب عفيف** قيدوه على سرير فى بستان مُزين بالورود، وتحيط به جداول المياه، ثم جاءت إليه إمرأة زانية، تداعبه وتغريه.. عسى أن تسقطه فى الخطية، فلما رأى الشاب الطاهر أنه لا مفر من السقوط، **قطع لسانه وبثق الدم فى وجهها**، فارتعبت وفرت من أمامه هاربة!

والقديسة **فيرونيا**، عندما حاول جنود مروانٍ بن محمد آخر الخلفاء الأمويين اغتصابها، استمهلتهم قليلاً فـدخلت قلايتها، وصلت إلى الله بدموع لكى ينقذها من الدنس، ثم خرجت إليهم بحيلة، فقالت لهم:

أُتركونى أعبد إلهى مقابل زيت أُعطيه لكم، وكل من يدهن به أى جزء من الجسم، فإن السيوف لا تؤثر فيـــه، ثم دهنت رقبتها أمامهم، وطلبت منهم أن يُجرّبـوا، فلمـا ضربوها انفصلت رأسها عن جـسدها، وهكـذا فـضّلت فيرونيا الموت عن أن تتدنس!!

هؤلاء وكثيرون غيرهم لم يتدنسوا، لأن إرادتهم كانت قوية، وإيمانهم بالله كان أقوى.. لقد أحبوا الله محبة صادقة وكرهوا الخطية فلم يعد لها مكان فى قلوبهم!!

إذن **فالغواية كلمة ضعيفة** ، بل هـى مـن الكلمـات الركيكة فى القاموس الروحى، اخترعها الإنسان لكى يبرر بها إرادته الشريرة، ورغبته المنحرفة فى تـذوق طعـم الثمرة المحرمة، التى نهاه الله عن أن يأكل منها!

الشيطان كما أرى

إن كل ما يستطيع أن يعمله الشيطان، هو أن يغازلنـا ويلاطفنا ويستهوينا، فهو يطربنـا ويمتـدحنا بالكلمـات

المعسولة.. حتى نستقبله، ونرحب به، ونفتح لــه ســائر أبوابنا المغلقة!

نستطيع أن نقول: **إن الشيطان أشبه بالمتسول**، الذى يتوسل إلينا لكى يدخل ويتحدّث معنا، فإذا رفض الإنسان وقال " **لا** " فى وجه الشيطان، فإنه سرعان مــا يتــوارى خجلاً، قد يأتى ثانية، ولكنه كما أتى من قبــل متوســلاً، ومتملقاً..

إذن فالاستسلام للشيطان، هو فى الحقيقة مجرد تعبير عن استسلام الإنسان لرغباته الحقيرة، وشهواته الدنيئة.. أو هو محاولة فاشلة، يسعى الإنسان الضعيف من خلالها، إلى إلقاء المسئولية على غيره! لأن الإنسان، كل إنــسان، يستطيع بنعمة الله أن يقاوم الإغراء، ويقف ضد الغوايــة، ويحيا طاهراً مثل لوط فى سدوم، ونوح البار وسط القوم الأشرار.. ومن ثم **لا عذر له فى السقوط مطلقاً!**

أما حينما نبرر سقوطنا بالحديث عن الغواية العنيفــة، والإغراء القوى، والسقوط المحتوم، فهذا فى الحقيقة ليس سوى اعترافاً ضمنياً، بأن إرادتنا أرادت الخطية، وهكــذا يسقط الإنسان لأنه يريد أن يسقط، ولن يقوم من ســقطته، إلا إذا كانت لديه إرادة الانتصار.. ولهذا **تزل الفتاة** التى يظن الناس أنها طاهرة، ليس لأنها وقعت ضــحية لغــاوٍ

أثيم، أو ساقط شرير.. بل لأنها كانت تريد من صميم قلبها، أن تسقط وتتذوق طعم الثمرة المحرّمة أعنى **لذة الخطية**، ومن ثم فإنها جعلت للغواية سبيلاً إلى نفسها! فالخطية تبدأ فى الداخل أولاً، وليس الآخرين سوى أدوات لتحقيقها فقط.

إذن كل من فتح قلبه للشيطان، وتفاوض معه من جهة أمور شريرة أو أشياء قبيحة.. قد جعل نفسه نهباً للخطية، واعترف مقدماً بالهزيمة !*

مسئولية الإنسان عن أعماله

إن الإنسان هو **سيد أعماله**، والمسئول عن كل أفعاله، وهو المتحكم فى كل قرارته، ومن ترك للمؤثرات الخارجية أن تختار له، فقد اختار لنفسه الهلاك، وتكون المشكلة هى الآخرين لا أنا!

نعترف بأن الخطية تقف عاجزة، إذا لم تجد **ميلاً فى الإنسان لارتكابها**، فالرغبة فى حاجة لمن يغذيها، فكل إنسان يستطيع أن يقمع رغباته، ويتحكم فى شهواته.. ولهذا يقول القديس العظيم **أنبا أنطونيوس**: " إن أردت

---

* د/ زكريا إبراهيم - مشكلة الإنسان، ص١٠٤- ١٠٩.

تستطيع أن تكون عبداً للشهوات، وإن أردت تقدر أن تتحرر منها ولا تخضع لنيرها، لأن الله خلقك وأعطاك هذا السلطان " *

إن الإنسان كائن حر، ينساق باختياره وراء الأشياء، سواء البناءة أو الهدّامة، ويملك من الإرادة ما يستطيع بها أن يغيّر ظروفه، وهل من يطوّر فى الكون لايقدر أن يعدلِ من حياته؟! أما الآخرون فلا يقدرون أن يفعلوا شيئاً، أكثر من تحريك عواطف مختزنة فى أعماقى.

يقول القديس يوحنا كاسيان

" ما من أحد ينساق إلى الخطية مُثاراً بخطأ شخص آخر ما لم يكن لديه وقودِ الشر مختزناً في قلبه، كذلك ينبغي ألاّ نتوهم أن رجلاً تتم غوايته فجأة، حين يتطلع إلى إمرأة في هوة الشهوة المشينة، إذ الواقع أن فرصة رؤيته لها جذبت إلى السطح أعراض المرض، التي كانت مخفية ومخبأةٍ في أعماق نفسه " *

تذكّر أن **نموك الروحى**، و **تقدمك النفسى**، يبدأ من حيث توقفك عن: ملامة الآخرين، وإدانتهم، وتحميلهم

---

* القمص تادرس يعقوب - الفيلوكاليا، ج ١، ص٣٥.
* القمص تادرس يعقوب - القديس يوحنا كاسيان، ص٥٠٢.

مسئولية سلوكك الشخصى، وما يصدر عنك مــن أفعــال وأقوال..

إذن فالشر يتوقف على مدى استعدادك لقبوله، أنــت الذى تعطى الشر سلطاناً عليك، عندما توافق على وجوده فى حياتك، إرادتك هى التى تمنحه الوجود فى أعماقــك، عندما تستجيب لنداء الشيطان، وإرادتك هى التى تحد من سلطانه عندما تخضع لإرادة الله وتعمل بوصاياه.



الفصل السادس

الله والإنسان والشر

أين الله ؟! وإن قلنا موجوداً، فلماذا يسمح بعذاب البشر؟! ولو سلّمنا بأن الإنسان أخطأ وهو يستحق العقاب، فلماذا تتعذب **الحيوانات** وتصيبها الأمراض وتموت مع أنها لم تُخطئ ؟!

والطبيعة التى لا تشعر، ماذا فعلت لكى تتألم؟! أليست الزلازل والبراكين والعواصف والسيول... آلاماً تهدد وجودها!

وماذا عن **اللا مساواة** ؟ إن مجرد نظرة بسيطة تؤكد، إن مواهب الذكاء والقوة والجمال والثروة.. ليست موزعة بالعدل بين البشر!

وهل من تفسير **لآلام المؤمنين** ؟! إن عبد الملك له من يعطف عليه ويحميه، له مكانة رفيعة فى المملكة!! أما ابن الله فالصليب رفيقه، والألم صديقه..!! لماذا يولد بعض الأطفال معوقين؟! كيف نفسر آلام من يعانى نتائج شرور لم يقترفها ؟! وحزن أم فقدت ابنها فى حادث

سيارة يقودها مدمن ؟! ألسنا نقول: إن الله رحيم، فلماذا لا يتدخل ليمنع مآسى البشر؟!

أسئلة كثيرة تتردد على ألسنة البشر، الذين أضعفت التجارب إيمانهم، وما أكثر القلوب الجريحة التى تريد أن تقذف ما بداخلها من بركان، فتأتى ثورتها على الله كما لو كان هو مصدر الشر فى العالم!!

عناية الله

نعترف بأن الله منذ أن خلق الإنسان، وهو موضع اهتمامه، فى أفراحه وآلامه يخاطبه، ولكن الإنسان لا يسمعه بسبب ضجيج أفكاره وهيجان رغباته، ولو عاش بالروح لرآه داخلاً فى كل الأشياء وخارجاً منها، وإليك **أدلة منطقية** تؤكد عناية الله المطلقة:

يستحيل أن تكون العناية الإلهية وأن لا تكون فى وقت واحد، فإما توجد عناية وإما لا توجد، وها نحن نتساءل: كيف يكون حال الكون، لو أن الله قد أغفل عينيه لحظة عنه ؟! ماذا ستفعل الوحوش بالبشر؟!

بدون عناية الله، هل يمكننا أن نشرح شرحاً مقبولاً، تعاقب الليل والنهار، وتتابع الفصول وحركات النجوم.. دعنا نتساءل: من الذى يمنح القوت للبشر، ويُشرق

الشمس ويُغيبها، ويُسقط المطر.. ؟ هل الصدفة ؟ لتكن **الصدفة** هى التفسير الوحيد للوجود! فهل تترك أُسرتك للصدفة، حتى تعولهم وتعالجهم وتعلمهم.. ؟! هل يمكن للصدفة أن تحمل السموات، أو ترسل لنا حرارة الشمس، أو مياه الأنهار..!!

نعترف بأن هناك أشياء كثيرة غامضة، لن نستطيع بالإمكانات البشرية المحدودة أن نفك رموزها، وأعظم تفسير لها: **إنها لا تفسر!** إذن لا يمكن أن نفترض عدم عناية الله بخليقته أو بالكون لأننا جهلاء ؟ والدليل: إن كثيرين يستضيئون بالكهرباء، وهم لا يعرفون كيف يشع النور حين يحركون الزر الكهربائى!

هل تعرف كيف يتحول الطعام إلى ريش فى الطيور؟! وأنا لا أعرف كيف يتحول الدم فى بطن الأم إلى غذاء للطفل، فى حين لو أنه شربه بعد الولادة لمرض!!

إذن معرفة الله ترتفع ارتفاعاً لا حد له فوق جميع تصوراتنا، وكل ما يراه الإنسان غامضاً إنما يرجع إلى محدوديته، وقد كان أفضل له أن يحيا داخل السياج، الذى وضعه الله فيه، وأن يقول مع بولس الرسول: " **يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ !** " (رو١١: ٣٣).

آلام الطبيعة

أما الطبيعة، فمعروف أن الله قد **سخّرها لخير الكون وخدمة البشر**، وذلك من خلال قوانين وضعها، وما نسمّيه اضطرابات الطبيعة: كالزلازل والبراكين والفيضانات... ليست سوى تعبيراً عن تفاعل عناصر الطبيعة، فى سعيها نحو تحقيق غاية ما!

وقد تفلت مجموعة هذه القوانين من قبضة مداركنا، لأننا أضعف من أن نحيط علماً بكل أسرار الكون، وسعيه نحو تحقيق غايته.

ولكننا نؤكد أن القانون يوضع للصالح العام، ولا عبرة بما يصدر عنه بنوع عارض، قد يسبب خسائر فى بعض الحالات! فالماء لا غنى عنه للحياة، ولكن ماذا تقول: إذا سقط طفل فى الماء وغرق؟ هل تعترض وتلوم الماء وتقلّل من أهميته؟!

وقد يستخدم الإنسان الخبيث الطبيعة، للفتك بالأبرياء والبسطاء، وتخريب معالم الحضارة، فلا غرابة إذا رأينا قوى الطبيعة التى عبث بها الإنسان تنقلب عليه منتقمة، مؤذية ومؤلمة! فهل مثل هذه الآلام تقع مسئوليتها على الله؟! **هل تنسب لله جرم البشر؟** أليس من العجب أن

يخترع الأشرار آلات مدمرة يقطعون بها أرجل البشر، وأسلحة نووية تقدر أن تقضى على الكون فى لحظات.. ثم بعد ذلك ينسبون شرورهم لله، ويطلبون منه أن يتدخل بأقصى سرعة ليُصلحها!

من أين تأتى أمراض القلب والسكر والقتل والزنى..؟! لماذا لا نُسلّم بأن الأخطاء البشرية، هى التى قلبت النظام الأمثل الذى وضعه الله.

ونحن لا ننكر أن الكوارث مؤلمة، ولكن أن ننسبها إلى الله فهذا خطأ! وأفضل لنا لو اتخذناها وسيلة **تعلن عن وجود الله بشكل محسوس**، لاعن ضعف عنايته بالكون كما يدّعى بعض الملحدين!

ألم يكتب أحد الصحفيين مرة: " **أؤمن بالإنسان الكلى القدرة، ضابط السماء والأرض!** " فالكوارث لمثل هذا الملحد، تُشعره بضعفه، وتجعله يلمس بؤسه، وينزل إلى عمق حقارته!*

وربما تفتك الطبيعة بالإنسان، لأنه **يرقص على الزلازل والبراكين**، غير عابئ بالخطر الذى ينتظره، ولا بقوانين الطبيعة! ماذا تقول لو سمعت عن مدينة دمرتها

---

* الأب جبرائيل فرح البولسى - الألم، ص٧٠.

البراكين بالكامل، ثم بعد ذلك يصدر قرار رسمي بتجديدها رغم وقوعها فى منطقة خطرة! ألا يدل هذا على عناد الإنسان وجبروته! وهذا العناد من يتحمل نتائجه؟

الأفضل إذن أن يتضع الإنسان المتكبر ويعرف حدوده! ويتعلم من الكوارث أعظم درس لحياة الاستعداد، ويتخذها وسيلة تحرك المحبة النائمة، وتنمى الرحمة، وتجعل القلوب تذوب عطفاً وحناناً..

عذاب الحيوان *

نعترف بأن الحيوانات قد خُلقت لخدمة البشر، أما آلامها فلا علاقة لها بالخطية، فقبل أن يخلق الله الإنسان، خلق الحيوانات وكانت تتعذب وتموت، إذن خطية الإنسان لم تغيّر من طبيعة الحيوانات كل ماهو جديد أن صارت عداوة بينها وبين الإنسان (تك٣: ١٥).

كما أن الألم يُعد من **مستلزمات الحيوان** الأساسية، وهو مرتب لتحقيق أعظم فائدة ألا وهى: **حفظه من**

---

* كتب كلايف ستابلز Clive Staples أستاذ الأدب الإنجليزى بجامعة كمبردج (١٩٢٥- ١٩٥٤م) عن ألم الحيوان فى كتاب اسمه " قضية الألم والإنسان " ص١٣٩-١٥٣، إصدار اللوغوس سنتر.

الفناء! فالجوع، العطش، البرد، الحرارة.. تنذر الحيوان بضرورة اتخاذ الوسائل الكفيلة بحفظ كيانه! وها نحن نتساءل: كيف يمكن أن يأكل الحيوان لو أنه لم يشعر بألم الجوع ؟!

ولكننا نسلم بأن آلام الإنسان تفوق آلام الحيوان، الذى لا يختبر سوى الآلام الجسدية فقط، أما الآلام النفسية فإنه لا يعرفها! ويرجع ذلك إلى أن الشعور فى الحيوان، أقل بكثيرٍ من الشعور فى الإنسان، الذى يملك نفس عاقلة وأيضاً روح عاقلة.

كما أن الحيوان يتألم دون أن يعرف معنى الألم أو ينتظره أو يفكر فيه، والموت فى الحيوان هو توقف الحياة ليس إلا، أما الإنسان فيفكر فى الموت، وفى نتائجه على الأسرة والأولاد قبل مجيئه، فمن المعروف أن الموت من أكثر القضايا التى شغلت فكر الإنسان!

مشكلة اللامساواة

من المؤكد أن المواهب والقدرات البشرية: كالذكاء والصحة والقوة والجمال .. والمال والممتلكات .. ليست موزعة بالتساوى بين البشر، ونحن لا ننكر هذا، ولكننا نرى أن **اللامساواة ليست شراً** كما يظن البعض بل، هى

من تدبير الحكمة الإلهية، التى يجب ألاّ نعتــرض عليهــا بسبب قصور تفكيرنا!

وإليك الدليل:

لنفرض أن البشر متساوون فى كل المواهب، **فــأين يكون الجمال والانسجام؟** هل ترتاح العين وهى تتجــول بين جماعات متشابهة؟ أعتقد أن البستان الجميل هو الذى تتنوع فيه الزروع والزهور والأشجار.. والمنظر الجذّاب هو الذى تتعدد فيه الألوان !

إن **التساوى فى الغنى يجعل الجميع فقــراء!!** هــذه عبارة قمة البلاغة، نطق بها أحد الفلاسفة لكى يؤكــد، أن توافر المال للكل يجعل كثيرون لا يعملون، فما أكثــر لا يعملون إلا للضرورة، وإن وجد من يقدّس العمــل، فمــا أكثر الكسالى فى عالم يميل إلى الراحة! أمــا إذا توقــف العمل فبكل تأكيد سوف ينهار البشر!!

كما أن البشر لو اغتنوا جميعاً، أو تساوت ثــرواتهم، فإن الوظائف التى يحتقرها المجتمع لن يشغلها أحد ويبقى السؤال: من الذى سيزرع الأرض أو يكنس الــشارع..؟ ماذا لو عُرض عليك أن تعمل مديراً؟ هل ستتركها لكــى تعمل ساعياً أو خادماً..؟! أعتقد أنك سترفض، ولكن تذكّر

هذه العبارة: **لولا الفلاح فى أرضه لمات الـــوزير علـــى عرشه!**

إذن من الحكمة أن تتفاوت الوظائف، وذلك من أجـــل استمرار الحياة ونموها، وتحقيق ميول البـــشر المختلفـــة، وكل ما نأمله هو أن:

تتساوى الكرامات لا الوظائف والثروات!

ونحن لاننكر إنه لشر عظيم، أن يموت لعازرالمسكين على أبواب بيت الغنى الشرير! أو يموت الفقير المريض بلا مداواة! أو يُهضم حـــق عامـــل فقيـــر! ولكـــن هـــذه التجاوزات لا تنسب إلى الله، بل للإنسان، لأنها من ثمار قسوته وظلمه واستبداده وكبريائه..!

معاناة الأبرار

وهذه أيضاً معضلة جعلت كثيرين يقولون: **أهذا عدلك يا رب** أن يتنعم الأشرار بينما يشقى الأبرار! ولكنى أرى أن كل إنسان يتعانق فى داخله الخير والشر، فالأبرار وإن كانوا يجاهدون، إلا أن ضعفاتهم كثيرة.

ولنفرض أن الله سيوزع العدل الآن **!!** تُـــرى مـــاذا سيحدث ؟؟ سوف يختل النظام الطبيعى وتعم الفوضى.

وإليك الدليل:

تخيل حريقاً قد شب فجأة، **فماذا ستفعل النار** ؟ هـل تلتهم فقط بيت الشرير، وتحترم مسكن البار؟!

والمطر المتساقط، هل يتلف بيت الفقير وحده، ويبقى معلقاً فوق حقل الرجل الصالح ؟!

وحين تهوى كتل الثلوج من أعالى الجبال، أتتوقـف عن المسير إلى أن يمر البار؟!

وإذا غرقت سفينة فى بحر ما، أيخلص القـديس وإن كان لا يعرف السباحة ؟!

وفي حادث قطار، أتضرب الكارثة الأشرار، وتُبقـى على الأبرار؟!

ولنفرض أن أسرة أُصيب أفرادها الأبرار والأشرار، فما هى الوسائل لنجاة الأبرار..

وليكن كل هذا! ولكن لو تحوّل قديس اليوم إلى شرير الغد فماذا نقول لله؟ هل يعود الماضى ويعاقبـه وينـزع ثوابه؟!

لا ننكر أن مشهد عذاب الأبرار يؤلم ! ولكن **من قال إن الأشرار لا يتعذبون** ؟! هل يمكـن أن تحـصى الآلام النفسية التى تسببها الكراهية والسرقة..؟ مـن يقـدر أن يقيس لنا مدى نبذ واحتقار... الناس للأشرار؟

لنقارن بين هذه العذابات التي تقع علـــى الأشـــرار، والتعزيات التي تثمرها فضائل الأبرار، لكي نعــرف أن هناك عدالة أرضية وإن كنا لا نفهمها!

والحق إننا نخطئ عندما ننظــر لمظــاهر الأشــرار الخارجية: كالملبس والمنزل... على أنها مكافــأت! لأن سلام الأبرار أعظم منها بكثير..



الفصل السابع

موقفنا إزاء الشر والأشرار

إزاء مشكلة الشر تعددت واختلفت الآراء، وتنوعت سلوكيات البشر، وها نحن نرى الآثار أمام عيوننا، لقد **استسلم البعض لقوى الشر استسلاماً مطلقاً!** فانغمسوا فى الحياة الشهوانية، دون أن يقيموا وزناً للمبادئ والقيم، وأصبحت الوصية عنهم، مستحيلةِ التطبيق فى عالم مزقه الشر! ولو عرفوا أن الوصية لم تُعطَ للإنسان إلا لسعادته، ما نظروا إليها هذه النظرة السلبية!

لقد نظروا إلى الشر على أنه وحش أصعب من أن يُقاوم! وأن الإنسان من حقه أن يتمتع بكل الملذات، ليُقيم توازناً بين رغباته، فالكبت فى نظرهم يؤدى إلى أمراض نفسية قد يصعُب علاجها!

وهكذا تحول وجودهم التافه إلى فراغ محض وعاشوا عالة على المجتمع.. وهناك من حصروا حياتهم فى دائرة من **الأفكار السلبية العقيمة**، فعاشوا على أمل وهمى ألا وهو: القضاء على الشر والأشرار!!

ونحن لا ننكر أن الله يقدر وبسهولة أن يمحو الشر من العالم، ويقضى على الأشرار، ليسود السلام، وتنتهى مشكلة الشر، كما يتراءى للبعض! فهو يستطيع كل شئ ولا يعسر عليه أمر (أى٤٢: ٢)، **ولكن ألم يحدث ذلك مرة أيام نوح!** لقد كثر شر الإنسان وتلوثت الأرض، فما كان على الله إلا أن ينظفها، كما لو كان يريد إعادة خلقتها من جديد! فماذا فعل؟ أنزل عليها مياه الطوفان (تك٧) فمات الأشرار، واغتسلت الأرض وتنقت، ولكنها **سرعان ما عادت كما كانت وتلوثت من جديد!**

هل إحراق سدوم وعمورة بالنار والكبريت قد أنهى الزنى ؟ ولا إغراق فرعون فى البحر الأحمر قضى على الاستبداد والمستبدين! إن المشكلة لها جذور فى أعماق الإنسان، والإنسان " **كُلُّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ** " (تك٦: ٥).

إنى إنسان فى داخلى يتعانق النور والظلام، إذن فالشر لايحيط بى فقط، بل هو يُحاربنى من أعماقى، وهذا يعنى أن الطهارة الكاملة لا تبقى على الدوام، فالأطفال يولدون أبرياء ثم يكبرون فيتدنسون بوحل الحياة، فيأتى السقوط ويتبعه القيام.. وهكذا تستمر حياتهم بين سقوط وقيام إلى أن يفتقدهم الموت، ويريحهم من عناء الشهوات.

إنه لمن المستحيل أن نتصور عالمنا البشرى، وقد مُحى منه الشر تماما، وزال عنه الخطأ، وارتفع عنه الألم إلى غير رجعة، وهل يوجد إنسان لم يختبر تجربة السقوط أو يعرف لحظة خبرة الفشل، أو ينصهر قط فى بوتقة الألم..؟! كيف؟! والإنسان يتحرك من أقصى اليمين إلى الشمال، من أقصى الخير إلى الشر، من أقصى السعادة إلى أقصى الحزن فى أقل من لحظة!

ولهذا فى **مثل الزوان**، عندما أراد العبيد أن يذهبوا ويجمعوا الزوان من بين الحنطة ليحرقوه، رفض السيد من أجل نمو الحنطة، لأنهم إذا قلعوا الزوان ربما قلعوا الحنطة معه (مت١٣: ٣)، **والسؤال الحائر**: من أين خرج الزوان ؟ أليس من الحنطة! فهل كان فى الفردوس زوان؟ ألم يخرج الزوان من آدم !

أفضل لنا إذن ألاّ نحيا على أمل وهمى، ونضع أمام أعيننا تلك الحقيقة: إن الذين يقلقوننا ليسوا سوى كومة من التبن أما أنت فحبة حنطة كما يقول **القديس أغسطينوس***
فإن كان التبن يغطيك ويخفى ملامحك ويكتم على أنفاسك،

---

* القديس أغسطينوس - خواطر فيلسوف فى الحياة الروحية، نقله إلى العربية الخورى يوحنا الحلو، ص٢٥١.

فثق أن يوم التذرية قريب، سيأتى يوم الدينونة الرهيب، فيُرفع التبن عن القمح ويُحرق بالنار..

ونحن لا ننكر قوة الشر أو سلطان الأشرار، عوامل كثيرة تجذبنا إلى أسفل، ولكن يجب ألا ننسى **أن الشر فى مفهومه هو غياب الخير، ولهذا لا يتملك علينا تماماً إلا عندما نتوقف عن فعل الخير**، فلماذا لا تفسح المجال لأعمال المحبة لتسود عليك! ألم يقل معلمنا القديس بولس الرسول: " **لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ**" (رو١٢:٢١).

ضعوا فى اعتباركم، إن جذور الشر متأصلة فى أعماقنا، وهى لن تنزع منا إلى الأبد، ولكن المرء لايصبح شهوانياً إلا إذا تعطلت قواه الروحية، وابتعد عن الله كلية! فإن أردتم تستطيعوا أن تقاوموا الشر، لأن الله قد أعطاكم " **سُلْطَاناً لِتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ وَلاَ يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ** " (لو١٩:١٠).

هذا هو الشرط الأساسى لعلاج أى مرض: **رغبته الحقيقية فى الشفاء**، أتذكرون قول السيد المسيح لمريض بيت حسدا " **أتريد أن تبرأ** " (يو٥:٦)!

ولهذا فإن أخطر أنواع المرضى هم الذين لا يريدون أن يُشفوا! ولهذا فإن حل مشكلة الشر، يجب أن يبدأ من

داخل الإنسان، ولو عالج كل واحد شروره وجعل من ذاته قدوة وليس مصلحاً للآخرين أو دياناً لهم، لتغيرت الحياة على الأرض، أما من ينظر خارجه فإنه لن يجنى سوى الألم! لأنه ماذا يفعل عندما يرى الصخور تتفتت، والأشجار تتفكك، والزهور تذبل، والحيوان يموت ويضمحل؟!

إن كثيرين يتمنون أن يُمحى الشر من الوجود، متناسين طبيعتهم التى تميل للكسل، ولو نظروا إلى الشر بكل ما يحمل من آلام نظرة إيجابية، لوجدوا أنه محرك للحياة الروحية، فهو الذى يجعلنا نجاهد فى طريقنا الروحى حتى ننتصر، ونتغلب على الفشل.. فلا قيام للحياة الروحية أو الخُلقيّة، إلا من خلال التصادم مع الشر والأشرار.

إذن لا علاج للشر إلا من خلال حياتنا مع الله، فالحل الكامل والمعقول لمشكلة الشرلا يُرى إلا في المصير الإنسانى البعيد، ولهذا يقول بولس الرسول:" **كُلُّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لاَ يُرَى أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ، وَأَمَّا أَخِيراً فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ ثَمَرَ بِرٍّ لِلسَّلاَمِ** " (عب١٢:١١)!

إن الإنسان مخلوق خالد، والحياة الحاضرة هى سلماً نصعد عليه من الأرض إلى السماء، حيث يتجلى لنا الله

بحبه، ونعرف تدابير حكمته.. تُعجبنى تلك العبارة القائلة:
إن العالم سفينتنا وليس مسكننا !

هذا عن الشر، أما **موقفى تجاه الأشرار**، فيتوقف على حياتى الروحية ومدى حبى لله، فمن يُحب الله يُحب لا الأقرباء فقط بل والأعداء أيضاً " **أَحِبُّوا أَعْدَاءكُمْ، بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ**" (مت٥:٤٤) والحق **إن المحبة الحقيقية لا تقتصر على الأبرار فقط** بل تشمل الخطاة والمنبوذين.. وهى لا تخشى التنازل عن كرامتها، بل تنزل إلى مستوى الأشرار وتتعامل معهم وتشملهم برعايتها..

لا ننكر أننا نكره الخطية ولكن يجب ألا نكره الخطاة، بل يجب أن نُحب الأشرار، فى الوقت الذى نبغض فيه شر الأشرار، فالشرير هو إنسان متألم فى حاجة لعلاج، وهذه المحبة ليست منحة نجود بها عليهم، بل هي حق **واجب** علينا، لأنهم فى أمس الحاجة إليها، فهى تعطى الخاطئ أملاً لكى يستمرعلى قيد الحياة، **فالمحبة تفتح للخاطئ حساباً جديداً فى سجل المستقبل**، ولاننسى أن من يُخطى اليوم ربما يتوب غداً، وأما أنا الذى أتوهم القداسة، فقد أُخطى غداً ولا أتوب! هذا بالإضافة إلى أن الصفح عن زلات البشر نوع من السخاء لأنه عطاء بلا مقابل!

وإن كانت محبة الشرير أعلى صور الفضيلة، فذلك لأنها عاطفة سخية، وأجمل ما فيها هو التعامل مع كائن شقى، تعلم أنه ربما يلحق بها الأذى فى أية لحظة، ومن ثم فإنها تجاهد فى سبيل إنقاذه من نتائج الشر المدمرة ! نستطيع أن نقول: إن المحبة نداء ورجاء.

نداء للخاطئ ليعود لصوابه،
ورجاء فى توبته وخلاصه !



الفهرس

كتب صدرت للمؤلف

١- شوكة الخطية (طبعة رابعة) ٢- أين هو الطريق

٣- رسالة تعزية (طبعة ثانية) ٤- عيد الميلاد

٥- عصر القلق (طبعة ثانية) ٦- أسياد وعبيد

٧- ذخائر الظلام ٨- عيد القيامة(طبعة ثانية)

٩- اللذة الحقيقية(طبعة ثانية) ١٠- الشهوة (طبعة رابعة)

١١- أكل البيض والبصل والفسيخ فى شم النسيم

١٢- العاطفة(طبعة ثانية) ١٣- الإنسان المجروح

١٤- هكذا أحبنا ١٥- أزمة حب(طبعة ثانية)

١٦-المدخل إلى الحياة الروحية ١٧- متألمون ولكن..

١٨- الشهوة والحب ١٩ - جذور الشهوة

٢٠- سلطان وسحر الشهوة ٢١- يمكنك أن تقمع الشهوة

٢٢- رحلة الآلام(طبعة ثانية) ٢٣- الثعالب الصغيرة

٢٤- مشكلة الشر ٢٥-مظاهر الشهوة فى حياتنا

٢٦- الحب الإلهى ٢٧- ماضي الشهوة وأثره فى الإنسان

٢٨- ا اللذة الوهمية(طبعة ثانية) ٢٩- حوار عن الله

٣٠- الذات ٣١ - عيد الغطاس ٣٢- الآخر فى حياتى

٣٣- أغصان الشر ٣٤- ديانتى ٣٥- إنطلق

ما هو الشر تلك القوى الخبيثة التى
تحيط بنا ، دون أن يكون فى وسعنا
إغلاق النافذة فى وجهها أو إرخاء
الستار عليها ؟! ما هذا الثعبان
الجهنمى ، الذى يمتص دمائنا
ويستنزف دموعنا ؟! أسئلة كثيرة
تطرح حول هذه المشكلة العثرة
الفهم !! فهل من جرأة لنغوص فى
بحر ليس له حدود ؟! أعتـ
هذا أفضل من أن نقف على الشـ
بلا حراك ساكنين ، ولماذا
إن كنا بصدق نبحث عن الحقـ